الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم
كلية العلوم الاجتماعية
شعبة الفلسفة

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في الفلسفة تخصص: فلسفة عامة وتعليماتها

الموسومة بـ:

استقطاب التراث السفسطائي في الفلسفة الغربية المعاصرة

نيتشه-نموذجا-

من إعداد الطالبتين:

- بن حراث فاطمة
- بزخامي سهيلة

إشراف الأستاذ:

* د. قواسمي مراد

السنة الجامعية: 2016 – 2017

بسم الله الرحمن الرحيم

كلـمة شـــكر

قد تهرب منا الكلمات إذا ما أردنا إبداء الامتنان للأشخاص الذين مدوا لنا يد العون، لذا فإنني لن أوفي الأستاذ الدكتور قواسمي مراد حقه من الشكر والتقدير لتوجيهاته القيمة التي رافقتني طيلة مراحل البحث، كماأتوجه بالعرفان والتقدير الى كل أساتذة قسم الفلسفة على مجهوداتهم الجبارة لترسيخ حب الفلسفة وتعلمها.

كما أتوجه بالشكر الى كل من ساهم من قريب أو بعيد لإنجاز هذا العمل.

إهـــــداء :

اهدي هذا العمل الى الوالدين الكريمين، والى اختي الكريمة بن حراث خيرة التي لطالما امدت لي يد العون وساعدتني ووقفت الى جانبي اشكرها جزيل الشكر وبدوري اتمنى لها التوفيق، واتمنى لها المزيد من النجاح والتألق.

بن حراث

أهدي هذا العمل الى الوالد الكريم الامر الناهي في دنياي و الى من أرضعتني الحب والحنان ،الى رمز الحب وبلسم الشفاء ، الى القلب الناصع بالبياض ، الى أمي الغالية التي يرتعش قلبي عند ذكرها رحمة الله عليها والى إخوتي و أخواتي التي لاطالما شجعوني و الى زوجي الذي كان سند لي طيلة الوقت.

بزخامي

المقدمـــــــــــــة

تعد الفلسفة اليونانية الدعامة الاساسية للفلسفات السابقة فهي المدخل الاول والعام لها وهي المنطلق لكل دراسة فلسفية، فلا يوجد موضوع فلسفي الا وتطرقت له سواء كان في الوجود اوالمعرفة اوالاخلاق لهدا كانت منطلقا فكريا ومرجعية للفلاسفة المعاصرين من ابرزهم الفيلسوف الالماني فريديريك نيتشه.

كانت نظرة السفساطائيين موجهة الى فاعلية الانسان في هذا العالم والى الدور الحقيقي للانسان وعلاقته بالعالم ومصدر المعرفة ومعيارها، وبهذا كان الجانب المعرفي أول انطلاقة لهم في دراستهم للانسان وقضاياه ويرجع الفضل في تناول هذا الجانب إلى بروتاغوراس والتاكيد على دور الذات الانسانية في المعرفة وارتبطت نظرتهم المعرفية بنظرتهم الاخلاقية[1] ، بظهور الحركة السفطائية انتقل التفكير الفلسفي من الإهتمام بالطبيعة إلى الإهتمام بالإنسان فكان بذلك الانسان محور التفكير وانتشرت بذلك النظرة الانسانية ويعد هدا التحول ثورة كبرى في تاريخ الفلسفة.

ترتبط فلسفة اي عصر بفلسفة العصور السابقة لها، حيث انها لا تنبثق فجأة من العدم، بل تقوم على ما سبقتها من الفلسفات، كما هو حال جميع العلوم، فضلا عن ذلك فان تاريخ الفلسفة المعاصرة مرتبط بتاريخ الثورة الصناعية، عندما طرح الفلاسفة المعاصرين مسألة الإنسانية والفردانية متأثرين بالتطور الصناعي والاقتصادي ما يجعل الانسان مركز البحث.

الفلسفة المعاصرة اتجهت لدراسة الانسان والسبب راجع الى الازمات، كازمة الوعي الغربي وازمة الفلسفة والعلم وانتشر بدلك الشك واللايقين والنسبية[2]، ومن ابرز الأزمات نجد الأزمة الروحية الناتجة عن اللاتوازن بين التقدم العلمي وانهيار الاخلاق، هدا ما دفع

[1]– عبد العال عبد الرحمن عبد العال ابراهيم، مذكرة لنيل الدكتوراه ، بعنوان الانسان لدى فلاسفة اليونان في العصر الهلليني، اشراف: د.علي حنفي، جامعة طنطا، ص135 .

[2]– مفرج جمال، نيتشه الفيلسوف الثائر، افريقيا الشرق، المغرب، د ط، 2010، ص 05.

بالفلاسفة المعاصرين بدراسة الانسان وقيمه، وتحليل وجوده والتعبير عن همومه وتقديم حلول لازماته الروحية والمادية والفلسفية، من هدا المنطلق تعرف الفلسفة المعاصرة بانها فلسفة الانسان والحياة.

كانت الفلسفة اليونانية هي المرجعية الفكرية بامتياز للفلسفة المعاصرة، فالفلاسفة مهما اتسعت أبحاثهم إلا أنهم يرجعون الى الفلسفة اليونانية، كونها اجابت على اسئلة كبرى حصرت في ثلاثة مباحث وهي: مبحث الوجود، مبحث المعرفة ومبحث االقيم، وخص بالذكر الفلسفة الاغريقية ما قبل سقراط التي كان لها تاثيرا في الفلسفة المعاصرة.

من ابرز الفلاسفة الذين استقطبوا التراث السفسطاني نجد الفيلسوف الالماني نيتشه **Friedrich Wilhelm Nietzsche**(1844م-1900م) عبر دراسته للادب الكلاسيكي متاثرا بفلاسفة الاغريق ومجدهم في مشروعه الفلسفي القائم على نقد القيم وقلبها وتظهر النزعة الانسانية والنقدية عند الاغريق وبالاخص السفسطائية، وبهدا كان الفكر السفسطائي حاضرا في فلسفة نيتشه، وهده هي مشكلة البحث استقطاب التراث السفسطائي في الفلسفة الغربية نيتشه نمودجا.

هذا ما سنتناوله في بحثنا هذا للاجابة على هذه الاشكالية ولقد اعتمدنا على منهج المنهج التاريخي التحليلي النقدي، حيث اعتمدنا على تاريخ نشاة الفلسفة السفسطائية والفضاء العام لفلسفة نيتشه لتبيان المرجعيات الفكرية، كما قمنا بالتحليل لابراز نقاط التقارب بينهما وكيفية استحضار الفلسفة السفسطائية في فلسفة نيتشه.

يمكن صياغة مشكلة البحث في الاشكال الاتي:

كيف تمكن نيتشه من استقطاب التراث السفسطائي في فلسفته وهل صرح بدلك مباشرة؟ وكيف وظفها في فلسفته؟، وما مدى تاثير الفلسفة الاغريقية في فلسفة نيتشه؟ ما هي نقاط التقارب بين التراث السفسطائي وفلسفة نيتشه؟.

بعض التساؤلات الفرعية :

1 -الفلسفة اليونانية كمرجعية عالمية.

2 -حضور التراث السفسطائي في الفكر الغربي.

3 -النزعة الانسانية والنقدية بين السفسطائية ونيتشه.

4 -نيتشه والفكر العربي

5 -الاخلاق عند نيتشه

6 -نيتشه والميتافيزيقا

ومن الافاق المستقبلية : نيتشه عند العرب ، نيتشه والميتافيزيقا السفسطائيةوالمذهب البراغماتي،تأثير الفلسفة السفسطائية في الفلسفة الحديثة

للاجابة عن هذه الاشكالية قسمنا البحث إلى فصلين وفيما يلى عرض سريع لمحتوياتهما :

استهلينا البحث بمقدمة تحتوي الإشكالية العامة والمنهج الذي درست به، واتبعناها بأسئلة فرعية تعزز البحث وفرضيات تدعمه مؤكدين على أهمية الفكر السفسطائي وحضوره في فلسفة نيتشه ، حيث يبدأ البحث بمدخل عام حول الفلسفة المعاصرة يتطرق لسياقها الفكري والفلسفي والمناخ الاجتماعي والسياسي لمعرفة ظروف وعوامل نشأة الفلسفة المعاصرة وهل كانت انعكاسا للعديد من الفلسفات، هذا بوجه عام، أما بوجه خاص فتطرقنا للفلسفة الإغريقية واهميتها في الفكر الفلسفي الغربي.

بيّنا في الفصل الأول الذي يقع تحت عنوان النزعة الانسانية والاخلاقية في الفلسفة السفسطائية، وهو يتفرّع إلى مبحثين، حيث نعرض في المبحث الأول الحقيقة والأخلاق عند السفسطائيين، بينما في المبحث الثاني فندرس الدين والسياسة في فلسفتهم.

ثم انتقلنا بعد هذا إلى لب الموضوع في الفصل الثاني حضور السفسطائية في فلسفة نيتشه، ويتفرّع هذا الأخير إلى مبحثين أيضا، كان عنوان المبحث الأول نسبية القيم عند

نيتشه، أما المبحث الثاني بعنوان مقاربة فلسفية تعالج كيفية توظيف نيتشه الفكر السفسطائي في فلسفته.

أخيرا ختمنا بحثنا باستنتاجات عامة حول مضمون بحثنا، كما قدمنا حلا للإشكالية المطروحة، مع مراعاة الانسجام المنطقي والتوافق مع التحليل السابق، وآثرنا طرح آفاق البحث المستقبلية.

من حيث الدراسات السابقة للموضوع فلقد اهتم المفكرون بدراسة الفلسفة اليونانية بشكل جذري وتعمقوا فيها وبالاخص الفلسفة السفسطائية، فهناك انتاج وفير حولها، كما تاخذ فلسفة نيتشه نصيبها الاكبر في الدرسات المعاصرة، مما جعل الابحاث عنه متوفرة بشكل كبير، واعتمدنا على مرجع عبد الرحمن بدوي بعنوان خلاصة الفكر الأوروبي، أما المراجع الفرنسية المترجمة إلى العربية فاعتمدنا على مؤلف لجيل دولوز GILLES DELEUZE الأول بعنوان نيتشه والفلسفة، ومن خلال بحثنا المتواضع اعتمدنا على المصادر الأساسية لنيتشه وهي: كتاب "ما وراء الخير والشر" 1886 وكتاب "أصل الأخلاق وفصلها"، "إنساني إنساني جد".

من دواعي اختياري للموضوع هو اهتمام الفلسفة المعاصرة بالإنسان وقيمه، هذا من جهة، ومن جهة اخرى ابراز اهمية الفكر الاغريقي عبر نيتشه.

أما فيما يتعلق بالصعوبات المعرفية التي واجهتنا فيمكن حصرها في أسلوب نيتشه المعتمد على الشذرات والحكم، حيث يصعب قراءتها الا بالاعتماد على القراءات المتعددة.

إن الثورة الفلسفية التي احدثها الفيزيائيون الاوائل تمثل انتقال الفكر من الأسطورة الى العقل حيث ،ساهمت كل المدارس ما قبل سقراط في إرساء حقل للعمل الفكري، فصار التفسير عقليا بعدما كان قائما على الاسطورة والخيال، وبظهور الحركة السفسطائية انتقل

التفكير الفلسفي الى الاهتمام بالانسان فكان بذلك الانسان محور التفكير وانتشرت بذلك النظرة الانسانية ويعد هدا التحول ثورة كبرى في تاريخ الفلسفة.

الفصل الأول:

النزعة الإنسانية والأخلاقية في الفلسفة السفسطائية.

المبحث الاول: الحقيقة والاخلاق في الفلسفة السفسطائية.

المبحث الثاني: الدين والسياسة في الفلسفة السفسطائية.

مدخل:

اهتم الفكر اليوناني منذ طاليس بدراسة الطبيعة وتفسير ظواهرها تفسيراً تجريبياً أو عقلياً، وكان التمحيص في هذا الفكر تمهيداً لظهور تحول فكري تمثل في الانتقال من دراسة الطبيعة إلى دراسة الإنسان، ومع السفسطائية بدأ هذا التحول بنزعة إنسانية نفدية، حيث وجهت النظر إلى الإنسان بعد ما كان موجهاً إلى الطبيعة[1].

تعرف السفسطائية بتعاريف متعددة، فهي من الناحية اللغوية "مشتقة من الكلمة اليونانية Sophest المشتقة من لفظ سوفوس sophos، وتعني الحكيم الحاذق والماهر في كل علم وفن اما لفظة سفسطة فهي ماخوذة من سوفيزما sophizma"وتعني الحذق والحكمة والمهارة[2]، كما تعد السوفسطائية مجموعة من المعلمين اللذين إتخذوا التعليم حرفة يعلمون النَّاس فن الخطابة و البيان، فهي ليست مدرسة فلسفية ذات عقيدة واحدة[3] .

يتصف الفلاسفة السوفسطائيون ومن أهمهم بروتاغوراس وجورجياس بصفات منها أنهم أقوياء الحجة، بارعين في الجدل، كما إتجهوا نحو الإنسان بالدراسة وهم من اخترعوا المنطق والنحو، وعلمّو النَّاس فن الخطابة والبيان، كما كانوا من واضعي المبادئ الأولى لفقه اللغة ومؤسسي النزعة الإنسانية الفردية في الفلسفة[4] .

بإمعان النظر في الدراسات السابقة نجد الارهاصات الاولى ، في المذاهب السابقة التي تحمل في ثناياها قدوم حركة جديدة جريئة اعلنت صراحة ما كانت تصبو اليه من بعيد

[1]– محمد على أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي من طاليس إلى أفلاطون، ج1، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة ، د ط ، د.س، ص113 .

[2]– حمادة حسين صالح، دراسات في الفلسفة اليونانية، ج1، دار الهادي للطباعة و النشر، بيروت، ط1، 2007، ص 147.

[3]– المرجع نفسه، ص 64.

[4]– محمد على أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي من طاليس إلى أفلاطون، المرجع السابق، ص 113.

وذلك من خلال العنصر الانساني في التفسير الطبيعي اللوغوس.و أوضح دليل على ما اذهب اليه قول احد الباحثين:" لم تكن نظرية العقل لدى انكساغوراس سوى تمهيدا مباشرا للمذهب السفسطائي ومبدا بروتاغوراس الانسان مقياس الاشياء كان علامة بارزة على التغير الذي سواف في التصور القديم للعالم"[1].

عاصر السفسطائيون sophistes سقراط وطوروا الجدل لياخد منحى نسبيا وشكيا بما انهم يدعون الى فلسفة تجريبية تعتمد على الحواس فقد انتقدوا المعتقدات الدينية التي عرفها اليونان قديما ومذهبهم النفعي يدل على النضج الاقتصادي والسياسي الذي بلغته اثينا الانسان مقياس كل شيئ[2].

وجهت السفسطائية كحركة فكرية ذات نزعة نقدية النظر الى الانسان والى معرفته بعدما كان نظر الفلاسفة موجها الى الموضوع الخارجي، غير أن هذا الاتجاه الجديد لا يرجع الى عامل فكري فحسب بل يرجع الى عدة عوامل نشأت في المجتمع اليوناني، وكلها ساهمت في ظهور هدا التيار الجديد، من هنا نتساءل: ما هي هذه العوامل؟ وكيف نظر السفسطائيون للحقيقة والأخلاق في فلسفتهم؟.

1)- عوامل دينية: إنَّ وجود معتقدات دينية غير قائمة على حقيق الآلهة أدى إلى إنعدام الثقة بها و الشك فيها مما إتسع الانكار لوجود الآلهة[3].

2)- عوامل سياسية: تتمثل في إنتهاء الحروب الميدية وانتصار اليونان على الفرس، وبهذا إنتشر الأمن والإستقرار، كما وضع "بركليس" دستوراً ديمقراطياً لأشياء ممَّا أدَّى أنتشار الحرية والتنافس بين الأفراد حيث تزايد النزاع أمام المجالس والمحاكم والمجالس الشعبية

[1]- مبروك امل، مقدمة في تاريخ الفلسفة اليونانية ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع محمد عبده القاهرة د ط، 2006، ص 83.

[2]- نيتشه فريديريك ، الفلسفة في عصر الاغريق، ترجمة محمد الناجي، افريقيا الشرق، المغرب، د ط، 2009، ص 266.

[3]- حمادة حسين صالح، دراسات في الفلسفة اليونانية، مرجع سابق، ص 157.

بالإضافة إلى الجدل القضائي السياسي، وكان هذا دافعاً إلى تعلم الخطابة[1] ، كما تزعزت ظ+الثقة في مفهوم الدولة الألهية بفعل الحروب الداخلية والخارجية، وبفعل الديمقراطية تمَّ تقويض المؤسسات الأرستقراطية و تقويض التزمت الديني بفضل العلم[2].

3)- عوامل إقتصادية: أدَّت عملية الترّحال بفضل التجارة إلى المقارنة والموازنة بين الثقافات، فتبين أنّ القيم الإجتماعية نسبية، لابد من دراستها نقدياً.

4)- عوامل فلسفية: أدَّى إفلاس المذاهب الفلسفية الأولى إلى الشك في كل شيء، الشك في الفلسفة والدين والنظام الإجتماعي، حيث سادت النزعة الإنكارية وإنتهى القين، لتحلَّ محلها لغة اللايقين وعوّض ما هو مطلق بما هو نسبي[3].

5)- عوامل أخلاقية: إنَّ إنعدام وجود مذهب أخلاقي كامل في نسق فلسفي واحد جعل القواعد الأخلاقية ساذجة غير كافية لإشباع المطالب الحياتية والحاجيات الجديدة[4] .

لم يتخصص السوفسطائيون في مشكلات فلسفية معينة، فمثلاً أخذ "بروتاغورس" على أن يثبت مبادئ النجاح السياسي واهتم "جورجياس" بالبلاغة والسياسة، أما "بروديقوس" فاهتم بالنحو والإشتقاق اللغوي، كما علم هيباس التاريخ معتمد في ذلك على الفصاحة والجدل لمواجهة أي قضية.

إن المذهب السفسطائي ذو نزعة انسانية نقدية، وما يؤكد صحة هذا الراي قول اميل برييه: "هذه النزعة الانسانية التي تعقد رجاءها كله على الفن والثقافة يشهد عليها المطلع

---

[1]- برهييه إيميل، تاريخ الفلسفة اليونانية، ج1، دار الطبيعة للطباعة و النشر، بيروت، ط2، 1987، ص 106.

[2]- ستيس وولتر، تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، 2005، ص 78.

[3]- حمادة حسين صالح، دراسات في الفلسفات اليونانية، مرجع سابق، ص149- 150.

[4]- المرجع نفسه، ص 157.

المشهور من كتاب بروتاغوراس، وهذا القول هو بمثابة برنامج كامل لمن يصبو الى ثقافة انسانية وعقلانية، والانسان بوجه عام هو بيت القصيد"[1] ، فقد كان الانسان محور بحثهم.

فيما يتعلق بالنزعة النقدية في فلسفتهم، فاستدل على ذلك بعقم المذاهب الفلسفية في ايجاد الحلول للقضايا المطروحة وتعدد الاراء وتباينها أدت الى ما يسمى بعصر افلاس العلم الطبيعي، فافرز نفور الفرد الى تعلم البيان والفنون فشاعت الروح النقدية[2] ، " فكأن هذا الهجوم السوفسطائي قد أيقظ الذهن اليوناني، لكي يعود فيتناول معارفة جميعاً بالنقد التمحص، و يعيد بناءها على أساس منطق سليم" [3] ، حينها طرح نيتشه مشكله القيمة معتمداً على النقد الجينالوجي، فإنه بذلك أيقظ الفكر الأروبي من إيمانه بأن الأخلاق من البديهات.

المعرفة عند السفسطائية:

تبدأ النضرة الذاتية في الفلسفة مع بروتاغورس بتأكيده انه لاوجود لحقيقة خارجية ثابتة بل هي ذاتية نسبية وبهذا وضعت النزعة الفردية ، حيث كان الاختلاف بين السابقين سببا قويا لدى "بروتاغورس" للشك في امكانية المعرفة الصحيحة والقول بانه لاتوجد حقائق الا بالنسبة لنا نحن البشر، من هنا اعلن مبدأه المشهور "إن الانسان مقياس الاشياء جميعا ما يوجد منها وما لايوجد[4]، وهنا تنتقل مشكلة المعرفة و لاول مرة ، من الموضوع الى الذات الانسانية التي تدركها فالمعرفة تعتمد على الانسان بصفة خاصة وان ما يبدو حقيقيا له فهو حقيقي فلا توجد حقائق مطلقة ، بل كل الحقائق متوقفة على الفاعل أي الإنسان لأنه هو مقياس للأشياء ، ولكنه ليس مقياسا عاما وانما مقياس فردي قائم على الأنانية

[1]– برهييه اميل، تاريخ الفلسفة اليونانية، مرجع سابق، ص 108.

[2]– أمل مبروك، مقدمة في تاريخ الفلسفة اليونانية، مرجع سابق ، ص81

[3]– محمد علي ابو ريان ، تاريخ الفكر الفلسفي من طاليس الى افلاطون ج1، مرجع سابق، ص125.

[4]– أمل مبروك، مقدمة في تاريخ الفلسفة اليونانية ، مرجع سابق ، ص105

والفردية الخاصة ، حيث يكون الانسان قانونا ومشرعا لنفسه إزاء المعرفة ولاشيء يعتبر حقيقيا للاخر [1] .

نقل بروتاغورس مشكلة المعرفة من الموضوع إلى الذات العارفة، مؤكداً على ثلاث نقاط:

1- إن المعرفة أساسها الإحساس، وهو صادق دائماً.

2- المعرفة نسبية.

3- الوجود متوقف على الإدراك، فلا وجود لشيء إلاَّ بعد إدراكه بالخبرة الحسية[2].

يرفض بروتاغوراس بين الحقيقة والظاهر من الناحية العلمية، فالحقيقة هي إحساسات وانطباعات ذاتية، ومنه لا وجود لحقيقة موضوعية خارجية مستقلة عن الذات الفردية، وإنما هي نابعة منها وعلى هذا الأساس فإن المعرفة نسبية [3] .

أرجع بروتاجورس معيار المعرفة إلى الإنسان الفرد من خلال تجربته الذاتية القائمة على المنفعة، وذلك لقوله:"أن الإنسان هو مقياس كل الأشياء، مقياس تلك الأشياء الموجودة والأشياء غير الموجودة"[4] .

كما طرح جورجياس ثلاثة قضايا وهي:

1 ⊬ لا وجود لشيء.

[1]- ستيس وولتر، تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، مرجع سابق، ص 82.

[2]- الكيلاني محمد جمال، الفلسفة اليونانية أصولها و مصادرها، ج1، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، الأسكندرية، ط1، 2008، ص 288- 289.

[3]- نقلاً: المرجع نفسه، ص277.

[4]- كرم يوسف، تاريخ الفلسفة اليونانية، دار القلم، بيروت، طبعة جديدة، د.س، ص 47

2 إذا وجد لا يمكن معرفته.

3 إذا أمكن معرفته فلا يمكن نقله إلى الآخرين [1].

خلاصة القول هي أنّ المعرفة عند السوفسطائيين مصدرها الإحساس أوالتجربة الحسية وهي نسبية، متغيرة من شخص إلى آخر متأثرين بهرقليطس القائل بالضرورة فالمعرفة هي وحدة الأضداء المتصاراعة.

معيار المعرفة هو الخبرة الفردية والتجربة الحسية هدفها تحقيق المنفعة عملياً أي السيطرة على الحياة و الطبيعة ومنه فإن المعرفة ليست غاية في ذاتها، و إنمَّا هي وسيلة لإشباع حاجات الإنسان، فلا وجود لشيء في ذاته لأن الإنسان هو الذي يضع الاشياء قيمها أي يعطيها قيمة أرفع إذا نفعته، وبما أنّ كل شيء في ضرورة مستمرة ودائمة فإن المعرفة نسبية غير مطلقة [2] .

خلاصة نقول أن المعرفة حسية تأتينا عن طريق الاحساسات وذاتية غير موضوعية كما أنها تتصف بالنسبية فضلا عن ذلك فإن الإنسان هو معيار كل شيء سواء في المعرفة او الاخلاق، سلوك الانسان نابع من الطبيعة الانسانية التي تميل الى اللذة وتنفر من الألم وبذلك فان معيار النفع الحيوي هو المعيار الاساسي للاحكام المعرفية والاخلاقية.

إنَّ القول بنسبية المعرفة ينطبق أيضاً على الأخلاق ومن هنا نتساءل: كيف أثبت السوفسطائيون أن القيم الأخلاقية نسبية؟ وما هو معيارها؟ وهل هي ذاتية أو موضوعية؟.

بدأت نظرية المنفعة في الأخلاق حينما ربط "بروتاجورس" بين الفضيلة والمنفعة معلناً أنَّ الفضيلة ليست علماً، لأنها نسبية تختلف من شخص لآخر حتى الشخص ذاته حسب تغير المنافع، فما هو خير لي قد يكون شراً لغيري وما ينفعني اليوم قد يضرني غداً

[1]– كرم يوسف، تاريخ الفلسفة اليونانية، دار القلم، بيروت، طبعة جديدة، د س ، مرجع سابق ، ص48

[2]– محمد علي ابو ريان ، تاريخ الفكر الفلسفي من طاليس الى افلاطون ج1، مرجع سابق، ص113.

ومنه لا وجود لشيء في ذاته وعليه فإن الأخلاق نسبية معيارها النفع الحيوي، وكان بروتاغوراس أكثر إتساقا مع مبادئه الفلسفية حينما أكمل عبارته السابقة بقوله أنه إذا كانت العلوم تعلم فإنها تتطلب معلمين محترفين[1].

الفضائل الأخلاقية ليست فطرية، ذلك أن الإنسان في نظر السوفسطائية، يكتسب قيمه من مجتمعه.

وضع " كاليكاس" **نظرية الحق للأقوى** من خلال تأكيده على أن الضعفاء وضعوا القوانين والأخلاق لكبح جماح الأقوياء والسيطرة عليهم، وإنتزاع الحق والمنفعة والسلطان من أيديهم، ورأوا في القانون أداة لترويض الأقوياء لأنه يحاسب على الظاهر دون الباطن وطالبوا التسليم بوجود الآلهة لخدمة منافعهم [2].

إن قوانين الأخلاق والدولة من إختراع الضعفاء كحيلة للسيطرة على الأقوياء، فقانون القوة هو قانون الطبيعة وبهذا روج السفسطائيون لنظرية القوة في الحق[3] ، وهذا ما سنجده عند نيتشه في فلسفته التي تشيد بالقوة من خلال إرادة القوة أن الإنسان يريد القوة دائماً فكل ما يحقق له القوة فهو خير وما يضعفه فهو شر.

يذهب السفسطائيون إلى القول بأن الإنسان معيار الأخلاق، وذلك في قول بروتاغورس الإنسان مقياس الأشياء جميعاً، "وهكذا لم يعد هناك أي معيار موضوعي لقياس الحقيقة أو لقياس الفضيلة عند السفسطائيين، بل أصبحت كلها أموراً تعود إلى ما يراه

[1]– امل مبروك، مقدمة في تاريخ الفلسفة اليونانية ، مرجع سابق ، ص87.

[2]– محمد علي أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي من طاليس الى افلاطون، مرجع سابق، ص 123.

[3]– ستيس وولتر، تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، مرجع سابق، ص 85.

الإنسان الفرد وما يعود عليه منها بالنفع أو الضرر"[1] ، إن الإنسان هو صانع مظاهر الحضارة بفكره وعلومه وعمله وهو الذي أبدع اللغة والفن والأخلاق.

سرعان ما يكتشف الناظر في عالم الإغريق إحتفالهم بكل إهوائهم وبكل ميولهم الشريرة الطبيعية، فلم يحتقروها بل وضعوا إحتفالات متعلقة بجوانب إنسانية على عكس المسيحية التي حاربتها، فهذه الجوانب لا مفر منها بل جعلوها من الحقوق ومن عادات المجتمع ومن طقوس العبادة، بحيث كانوا يقدسون كل شيء له قوة في الانسان، "إنهم لا يجحدون الغريزة الطبيعية التي تعبر عن نفسها في المزايا القبيحة، بل يضعونها في مكانها في حدود بعض العادات"[2] ، وهذا دليل على إستقلالية فكرهم الأخلاقي، فهم يفتخرون بطريقة معتدلة بالشر والصفات الوحشية من دون السعي إلى محوها من الوجود[3] .

الدين:

وضع بروديقوس نظرية حول الموت وكان بذلك رائدا للأبيقورية قائلا أن الموت لا نخاف منها لأننا لانشعر به وفي هذا الصدد يقول أبيقور أن الموت لايمثل شيء بالنسبة لنا فحيث نكون لايكون وعندما يكون الموت لانكون نحن"[4].

شك السفسطائيون في الآلهة عبر رفضهم الأفكار والمعتقدات، مؤكدين أن الدين لا ينبع من مصدر إلاهي فهو نسبي، وهو عبارة عن فكرة تعاقدية تظهر حسب حاجة المجتمع، وهذا ما عبر عنه بروتاغورس عندما نشر كتاب بعنوان **عن الحقيقة**، وقد ورد على رأسه هذه العبارة: "لا أستطيع أن أعلم إن كانت الألهة موجودة أو غير موجودة ، فإن

[1]– مصطفى النشار، مدخل جديد إلى الفلسفة، دار الفياء للطباعة و النشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1998، ص 43.

[2]– نيتشه فريديريك، إنساني مفرط في إنسانيته،ج1، ترجمة: محمد الناجي، المؤسسة أفريقيا الشرق، المغرب، دط،2002، ص 72.

[3]– المصدر نفسه، ص 72.

[4]– الكيلاني محمد جمال، الفلسفة اليونانية أصولها و مصادرها، ج1، مرجع سابق، ص 159.

أموراً كثيرة تحول بيني وبين هذا العالم، أخصها غموض المسألة وقصر الحياة"[1] ، كما أكد كريتياس على "أن الإيمان بالألهة والمعتقدات الدينية هو إختراع سياسي للسيطرة على الضوضاء عن طريق الخوف[2].

ينظر الإغريق الى الألهة على إنها صور للنماذج الناجحة في طبقتهم أي المثل الأعلى لكيانهم فلم يرونها أربابا ولا عبيدا تربطهم بالآلهة علاقة قرابة فيكون الإنسان فكرة متعالية إعتمادا على فكرته حول الآلهة. وبهذا فإن المسيحية نقيضة كل ما هو إغريقي[3].

المساواة: يؤكد السوفسطائيون على مبدأ المساواة ويرفضون فكرة التراتبية أي تقسيم المجتمع إلى طبقات، بمعنى رفض فكرة نبل المولد[4] .

يعتقد جورجياس بأن اللفظ هو وسيلة الإقناع وعرفه "بأنه قوة خارقة، تصنع المعجزات، فهو رغم ضالته، يمنع الخوف ويزيل الأسى، ويجلب السرور ويبعث البهجة ويملأ النفس ثقة وطمأنينة"[5] ، ويقتصر هنا بأن تأثير الكلام أواللفظ لا يقف إلى حد الإقناع وإنما له قوة في التأثير على الأخر وإثارة عواطفه.

كان جورجياس هو مكتشف "مبدأ الإقتراح" الذي جعله أداة قوية لتليين عقول البشر وإقناعهم، ويشبه تأثير الخطابة بتأثير الدواء في الجسم حيث يقول" فإن إستعمله المريض لحكمة وإعتدال تم شفاؤه، وإن أسرف في إستعماله أصبح في خطر عظيم"[6].

---

[1]– كرم يوسف ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، مرجع سابق، ص105

[2]–. ستيس وولتر، تاريخ الفلسفة اليونانية،ترجمة:مجاهد عبد المنعم مجاهد ، مرجع سابق ، ص85.

[3]– نيتشه فريديريك، إنساني مفرط في إنسانيته،ج1، ترجمة: محمد الناجي، مرجع سابق، ص 80.

[4]– امل مبرروك ،مقدمة في تاريخ الفلسفة اليونانية،مرجع سابق ، ص93

[5]– الكيلاني محمد جمال ، الفلسفة اليونانية أصولها و مصادرها، ج1، مرجع سابق، ص 28.

[6]– المرجع نقسه ، ص290.

هنا تكمن علاقة الخطابة بالسياسة بحيث هذه الأولى كانت الأداة التي من خلالها تستطيع الديمقراطية وعامة الشعب أن تقف في مواجهة الأرستقرطية ، بإعتبارها أجل الموضوعات وأخطرها التي تحقق للمرء الحرية، فلا يخضع الإنسان فقط وإنما يخضع الناس أجمعين ويفرض عليهم إرادته عن طريق الخطابة [1].

يذهب بروتاجوراس إلى أن الناس عندما شعرو بالخطر في المرحلة الأولى وان حالة الوحدة والعزلة سوف تفتك بهم، تجمعوا معا في مدن ولكن حينما تجمعوا إرتكب بعضهم في حق الآخر مظالم ومن هنا ظهرت الحاجة إلى القوانين التي تنظم حياتهم فتواضعوا فيما بيتهم على وضع مجموعة من القوانين التي تنص على إحترام حقوق الغير (العقد الاجتماعي)"وفكرة التعاقد هذه سيثيرها في العصر الحديث جون جاك روسو مرددا بذلك آراء السفسطائيين في أنه ليس ثمة غريزة فطرية في المجتمع إلا أن الإنسان ليس منساقا بطبعه إلى التجمع والعيش في المجتمع بل إنه يتعاقد مع غيره من الأفراد لإقامة نظام إجتماعي معين لأن حياة المجتمع تجلب للمشاركين فيها منافع أكثر من تلك التي تجلبها لهم في الحياة الفردية"[2] .

كما يقول "هيباس" "القانون طاغية بالنسبة للبشر من حيث أنهم يجبرهم على عمل أشياء كثيرة ضد الطبيعة"[3] ، وهنا إشارة إلى أن قانون المدينة ضعيف ومحدود للغاية ولذلك وضع الناس قانونا يختلف من حيث الجوهر عن قوانين الطبيعة.

أما بالنسبة لكالكليس يقول "بأن القانون من صنع الضعفاء الدين شرعوا في وضعها ومايتفق مع مصلحتهم الخاصة وهم بدلك يجعلون أنفسهم في مستوى اللآخرين أي الأقوياء دون أن يكونوا بالفعل كذلك لكن الطبيعة تثبت لنا أن ما اكثر قوة يتفوق على الأقل وأن

[1]– الكيلاني محمد جمال ، الفلسفة اليونانية أصولها و مصادرها ج1، مرجع سابق ، ص290.

[2]– محمد على أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي من طاليس إلى أفلاطون، مرجع سابق، ص 119.

[3]– الكيلاني محمد جمال ، الفلسفة اليونانية أصولها و مصادرها، ج1، مرجع سابق ، ص 160–161.

العدل يتمثل في سيادة القوي على الضعيف ،وعلى المرء ان يتحلى بالقوة الجسمانية والعقلية والحكمة وبالتالي سوف يكون هناك من التفوق ما يجعل الجميع يخضع له وبذلك يعدون اول من رأى ان القوة هي الحق[1].

يتفق مع هده القضية كدلك تراسيماخوس يؤكد على ان العدالة ليست الا لصالح القوي فلا وجود للحق الطبيعي فالحق هو كل ما تنفده اقوى سلطة في الدولة وفق ماترى ان فيه مصلحتها الخاصة المساواة.

"الصراع عدالة؟، فالحرب والنزاع عاملين رئيسيين يحكمان الناس والقوة هي مصدر كل شيء، فالدولة من صنع الضعفاء والتناقض كبير بين الطبيعة والقانون الذي وجد للقضاء على الأقوياء ولجمهم، إنَّ الطبيعة هي الخير ولذلك يجب أن نصغي إلى صوتها ضاربين عرض الحائط بكل القوانين التي سنها الضعفاء وبكل قيمهم حول العدالة والجور والصلاح"[2].

اللغة:

الموقف السوفسطائي منسجم مع نظريتهم الفلسفية العامة فهم يؤكدون على الطابع الإصطناعي للمدينة والمجتمع والشيء نفسه يقال على اللغة ، أي أن اللغة اصطناعية وعندما يقول بروتاجوراس ان الانسان مقياس الاشياء جميعا فانه يرمي الى القول بان الواقع تيبقى مجهولا إلا اذا عبرنا عنه في خطابا أي في لغة .

يثير جورجياس بين اللغة والواقع الخارجي او العلاقة بين اللفظ والمضمون الحقيقي وهل اللغة تعبر بصدق عما لدينا من معرفة عند التعبير عن افكارنا ، بحيث يرى أن اللغة اذا كانت وسيلة للتعبير عن افكارنا ووسيلة التفاهم بين الناس ، إلا أنها في الوقت نفسه

[1]– محمود زكي نجيب أحمد أمين، قصة الفلسفة اليونانية ، لجنة التاليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، د.ط ، 1966 ، ص69

[2]– حسين حرب، الفكر اليوناني قبل أفلاطون ، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1990، ص92.

مجرد اشارات ورموز ضعيفة [1]، لهّذا أنكر جورجياس الصلة بين اللغة والفكر وان اللغة عاجزة عن التعبير الحقيقي للاشياء وهي ايضا عاجزة عن تأصيل الحقيقة للاخرين [2].

تتصف الأعمال الأدبية الاغريقية بالصفاء والبساطة والتنسيق والشفافية الطبيعية والمصطنعة هذا ما يدفع الى القول بانها كانت منحة الاغريق وهبتهم لنا فطبعهم المكتسب يتميز بالذوق والوضوح في الكتابة حيث نجد " الحوار داخل الماساة ماثرة المسرحيين الاصيلة وذلك بسبب وضوحه ودقته الخارقين" كان اصدار القوانين بطريقة منظمة غير غامضة " وهذه القضية الابولونية التي واجهت العقل الاغريقي في سبيل التغلب على اخطار النظم"[3] ، وبذلك فرضت البساطة والمرونة على الطبع الشعبي الاغريقي لتجاوز الطبع الاسيوي الخامل.

الدولة:

"لقد كانت دولة المدينة polis عند الاغريق ككل قوة سياسية منظمة مانعة لنمو الثقافة وشديدة الارتياب فيها، وقلما كانت لغريزة العنف لديها على الثقافة اثار غير تلك التي تشلها وتكبحها"[4].

أثناء إنشاء الإغريق الدولة والديانة الرسمية لم يعتمدوا في وضع القوانين على الكاهن او العشيرة وانما الى الواقع الانساني واضعين ذلك بحرية وحس واقعي[5].

خلاصة نقول ان المعرفة حسية تأتينا عن طريق الاحساسات وداتية غير موضوعية كما انها تتصف بالنسبية فضلا عن ذلك فان الانسان هو معيار كل شيء سواء في المعرفة

[1]– لكيلاني محمد جمال، الفلسفة اليونانية و مصادرها،ج1، مرجع سابق 296 .

[2]– المرجع نفسه ، ص 297.

[3]– نيتشه فريديريك، إنساني مفرط في إنسانيته،ج1، ترجمة: محمد الناجي، مرجع سابق، ص 71.

[4]– المصدر نفسه ، ص 209.

[5]– المصدر نفسه ، نفس الصفحة.

او الاخلاق ، سلوك الانسان نابع من الطبيعة الانسانية التي تميل الى اللدة وتنفر من الالم وبدلك فان معيار النفع الحيوي هو المعيار الاساسي للاحكام المعرفية والاخلاقية .

النقد:

اختلفت الآراء وتعددت في تقييم الحركة السفسطائية ، فريق ذهب إلى أنها ممثلة لعصر التنوير عند اليونان والاصل الاول للنزعات الانسانية في العصر الحديث ، وفريق آخر ذهب الى أنها نزعة هدامة أرست قواعد الشك وأفسدت العقل اليوناني بطرحها كل ما هو ذو قيمة مطلقة الى ما هو نسبي[1] .

"كان السفسطائيون أول من وجهوا الانتباه الى عالم الخطابة حيث يقال بأنهم مؤسسوه إلا أن بعض خطاباتهم لها جانب سيء الذي أصبح التو جانبها الوحيد فإن أهداف السياسيين الشبان الدين تدربوا ليست بلوغ الحقيقة بل لمجرد اتباع ما يرغبون في الاعتقاد فيه، وهم قادرون على تقديم رصيد من الحجج والبرهنة على أي قضية لكي يجعلوا الاسوء يبدو افضلا، وهم يلجؤون الى التلاعب بالتراكيب النحوية[2] .

يقول اكسينوفان ان "السفسطاءيين يتحدثون من اجل أن يخدعوا الناس ويكتبون من اجل مكاسبهم الشخصية ولا يقدمون أي فائدة لاحد ، و يصفهم افلاطون في محاورته بأنهم تجار الحكمة يعلمون الشباب من اجل المال، ومجادلين يتلاعبون بالالفاظ مدعين معرفة الاشياء، أما ارسطو فوصف الفن السفسطائي بانه فن التظاهر الكاذب بالحكمة، وهذا الوصف ينطبق على صغار السفسطائية [3] ، اهتموا بالحياة العملية وتركوا النظريات الفلسفية بعثو الشك في العقل .

[1]– كيلاني محمد جمال ، الفلسفة اليونانية أصولها و مصادرها، ج1، مرجع سابق ، 294.

[2]– ستيس وولتر، تاريخ الفلسفة اليونانية،ترجمة:مجاهد عبد المنعم مجاهد ، مرجع سابق ،ص80.

[3]– امل مبروك مقدمة في تاريخ الفلسفة اليونانية ، مرجع سابق، ص 79–80.

وكذلك بالنسبة لنظرية الحق الاقوى اطلقت هذه النظرية العنان لمذهب القوة بكل جوانبه دون الاخد في الاعتبار ان حياة الانسان تختلف عن حياة الحيوان الي يعيش على نظام الطبيعة ،اما الانسان فعلى العكس من دلك فهو في حياته يجب ان يلتزم بالعوامل الاخلاقية والدينية وكذلك القانونية.

من اجابياتهم :

غيروا مسار البحث من الطبيعة الى الانسان .

حرروا العلوم من قيود الخرافة والافكار الدينية العتيقة .

رفعت لواء تعليم الخطابة فاثرت على الثقافة واصبحت شخصية الفرد تقاس بمهاراته الخطابية .

اخترعوا النحو والمنطق لاروبا القديمة ارشدو الناس لكشف الخطأ نشطو الحركة العقلية حطمو الديانات القديمة لولاهم لما كان سقراط[1].

"السفسطائيون sophites فلاسفة عاصروا سقراط وطوروا الجدل لياخد منحى نسبيا وشكيا بما انهم يدعون الى فلسفة تجريبية تعتمد على الحواس فقد انتقدوا المعتقدات الدينية التي عرفها اليونان قديما ومدهبهم النفعي يدل على النضج الاقتصادي والسياسي الدي بلغته اثينا الانسان مقياس كل شيئ[2].

[1]– حمادة حسين صالح ، دراسات في الفلسفة اليونانية ، مرجع سابق، ص 155.

[2]– فريديريك نيتشه، الفلسفة في عصر الاغريق، ترجمة : محمد الناجي، مرجع سابق ، ص 266.

الفصل الثاني:

حضور الفلسفة السفسطائية في فلسفة نيتشه.

المبحث الأول: نسبية الحقيقة والاخلاق في فلسفة نيتشه

المبحث الثاني: استحضار نزعة السفسطائيين الإنسانية والنقدية في فلسفة نيتشه.

المبحث الأول:

الحقيقة والأخلاق عند نيتشه

تعد إشكالية الحقيقة من ابرز إشكاليات فلسفة العلوم ونظرية المعرفة ، ويظهر طابعها إشكالي في تعدد أصنافها ومعاييرها، كما أنه لا يمكن حصرها في خطاب واحد لاختلافها باختلاف الخطاب الفلسفي، فكل تصور ينظر إلى الحقيقة من وجهة نظر معينة مؤقتة، وهذا ما يشهده تاريخ الفلسفة من خلال تعدد المذاهب واختلاف التصورات الفكرية.

قامت الفلسفات التقليدية على أساس الإيمان بوجود الحقيقة المطلقة، ومن خصائصها أنها مستقلة في وجودها مطلقة ثابتة لا تتغير، وهي من البديهيات أكثر وضوحا كما قال ديكارت، كما أن غاية الحقيقة تكمن في ذاتها أي بلوغ المعرفة وتجاوز الغموض، غير أن الفلسفة المعاصرة أصبحت تتحدث بلغة اللايقين والاحتمالات فدخل مفهوم الارتياب إلى الفكر الفلسفي والعلمي، والسبب في ذلك تلك الأزمات الأوروبية في مجال الفلسفة، أما في العلم فظهرت نظرية النسبية، وبظهور فلسفة نيتشه انتقل الفكر من الحديث عن الحقيقة إلى اللاحقيقة باعتماد الخطأ كشرط للوجود، فصارت الحقيقة تقابل الأوهام.

إن القضايا المتعلقة بإرادة الحقيقة تتطلب مغامرات خطيرة ولم تعالج إلا مع نيتشه عندما طرح مشكلة أصل إرادة الحقيقة ثم انتقل بعد تريث طويل إلى المشكلة الأكثر عمقا وهي قيمة إرادة الحقيقة متسائلا: **لماذا لا نريد اللاحقيقي بالأحرى، إذا افترضنا أننا نريد الحقيقي؟ أو اللايقين؟ أو الجهل حتى؟** هل هي قضية قيمة الحقيقي التي خطرت لنا، أم على الأصح، نحن هم الذين وهبوا أنفسهم لها؟.

أعلن نيتشه بأنه أول من طرح هذه المشكلات والتساؤلات بجرأة وشجاعة، حيث صاغ مشكلة قيمة الحقيقة وعالج أصلها والاسباب التي تتخفى من ورائها وكشف ظروف ظهورها وكيفية تشوهها، وكل هذا يتطلب المخاطرة والجرأة والشجاعة[1] .

لكونه أول من طرح سؤال ربما وشك في العديد من القضايا التي كانت تعد من المعطيات، فكان محتقرا منبوذا يثير الاشمئزاز.

تتمحور مشكلة الحقيقة عند نيتشه على الاشكال الاساسي العام وهو كالاتي:,ماقيمة الحقيقة وما أصلها؟ هل تدفع إلى أمر أفضل أم تقود الإنسان إلى اليأس ؟ أليست سبب الانحطاط؟ لماذا يريد الإنسان الحقيقة؟، وإذا كانت الحقيقة صنم من الأصنام الإنسانية فكيف يمكن تقويضها وتحطيمها؟ كيف يمكن للحقيقة أن تأتي من نقيضها وهو الخطأ؟.

وكيف نفسر اللاحقيقة والخطأ كشرطين أساسين للحياة؟ وهل هناك فعلا ما يسمى بالحقيقة في عالم الصيرورة، ولماذا صنع الإنسان إرادة الحقيقة وما الغاية من ذلك؟ وما معيار الحقيقة؟ أليست اللاحقيقة أنفع من الحقيقة للإنسانية، ما هي نتائج الحقيقة على الإنسانية؟ ألم تؤد إلى العدمية؟ ما تأثير الفكر القائم على التعصب والتطرف بادعائه انه يمتلك الحقيقة المطلقة على الثقافة؟.

تعرف الحقيقة (vérité . truth) لغة بأنها الشيء الثابت ما أقر في الاستعمال على أصل وضعه، وللمجاز ما هو ضد ذلك، أما اصطلاحا فترادف الماهية وفلسفيا لها عدة معاني منها الماهية فيقال حقيقة الشيء ما به الشيء هو كالحيوان الناطق للإنسان، وتستخدم بمعنى الخصوصية individualité حقيقة كل شيء خصوصية وجوده الذي يثبت له ". أما الحقيقة من حيث إنها صورة فهي مساواة

[1]– نيتشه فريديريك، ما وراء الخير والشر، ترجمة: حسان بورقية، أفريقيا الشرق، المغرب، د ط، 2006، ص 15.

بين العقل والأشياء، فالعقل مقرر الوجود وغير الموجود، ومن حيث أنها قانونا فهي موجودة على مستوى الفكر تتميز بالتلازم المنطقي وهذه النظرية تأثرت بالرياضيات وأخيرا تعرف الحقيقة بالنجاح فكل ما يؤدي إلى نتائج ناجحة عملا وفكرا فهي صادقة وحقيقية [1].

هناك تعريفات أخرى تتضمن أن الحقيقة مطابقة التصور أو الحكم العقلي للواقع، أو مطابقة الشيء لجوهر نوعه(بلوغ حقيقة الإيمان)، أو هي أخيرا ماهية وذات (حقيقة الإنسان انه عاقل)[2] ، إن التعريف الأول ينطبق على الحقيقة التجريبية أما التعريف الثاني فينطبق على الحقيقة الدينية والتعريف الأخير فيصدق على التعريف المنطقي.

ويقصد بالحقيقة الواقعية actualité "أي شيء يوجد ويتطور ويتضمن جوهره الخاص وقوانينه الخاصة، وينشا عن فعله الخاص وتطوره الخاص، وهذه الحقيقة الواقعة هي الواقع الموضوعي بكل تعينه، وبهذا المعنى لا تختلف عن كل ما هو ظاهري ومتخيل ومتوهم فحسب، وإنما تختلف أيضا عن كل ما هو منطقي (أو معقول) بحت، وان كان صحيحا كلية، وتختلف أيضا عما هو ممكن أو محتمل فحسب والذي ليس موجودا رغم هذا"[3].

تنقسم الحقيقة إلى قسمين من حيث طبيعتها، فهي أولا صورية بمعنى مطابقة الحكم العقلي للمبادئ التي ينطلق العقل منها، وثانيا فهي واقعية تدل على اتفاق الحكم

[1]– وهبه مراد، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، 2007، ص 282–283.

[2]– الحلو عبده، معجم المصطلحات الفلسفية فرنسي عربي، مكتبة لبنان، بيروت، د ط، د س، ص177.

[3]– روزنتال.م، يودين.ب، الموسوعة الفلسفية ، ترجمة: سمير كرم، دار الطليعة بيروت، د ط، د س، ص 185.

العقلي مع الواقع المادي أو النفسي[1] ، ويندرج موضوع الحقيقة عند نيتشه في التعريف الأخير لأنه يرى الحقيقة مجرد أعراض لدوافع فيزيولوجية ونفسية، كما ينتمي إلى النظرية النسبية التي ترى بان الحقيقة نسبية متغيرة قابلة للتطور وهي عبارة عن ظواهر إنسانية ، وليست مطلقة ثابتة ولا مبادئ راسخة.

وظهر تصور في العصر الحديث يقيم الحقيقة على العقل وفق معيار البداهة والوضوح هذا ما عبر عنه ديكارت اسبينوزا أما كانط فجعل الحقيقة قيمة أخلاقية من خلال الشيء في ذاته، وعليه فإن التصور الكلاسيكي للحقيقة قائم على مفاهيم منها الحقيقة المطلقة الشيء في ذاته الجوهر الماهية الكلية، غير أن الخطاب الفلسفي المعاصر تجاوز التصور الكلاسيكي للحقيقة، فرأى نيتشه أن هذه المفاهيم أوهام اخترعها الفكر البشري، كما تجاوزت أطروحات الفلسفة المعاصرة التصورات التقليدية التي تحصر الحقيقة أما في العقل أو في التجربة انطلاقا من معيار المطابقة، ومن أهم هذه الأطروحات نجد موقف نيتشه الذي يؤكد أن الحقيقة مجرد أوهام أنتجها الفكر البشري عبر تاريخه للحفاظ على النوع البشري وهذه الأوهام اخطر من الخطأ لأن الخطأ يمكن اكتشافه بسهولة وتصحيحه لكن الأوهام نظرا لرسوخها وصلابتها ونسيان أصولها واختفائها وراء أقنعة متعددة فانه يصعب اكتشافه ولا يمكن الشك فيه لأنه صار مقدسا.

يرفض نيتشه مفهومي الحقيقة والذات، وهذا هو المصدر الاساسي لفلاسفة ما بعد الحداثة لرفض هذين المفهومين، كما يرفض دور الفلسفة المتمثل في البحث عن الحقيقة ومحاولة بلوغها، لهذا فإن فلسفته لا تقدم حقيقة ما وانما هي هدم للانساق

[1]– الحلو عبده، معجم المصطلحات الفلسفية فرنسي عربي، مرجع سابق، ص177.

الفلسفية السابقة والاراء الميتافيزيقية، قائمة على ارادة القوة لا ارادة الحقيقة؛وعليه فان الفلسفة هي فن التفسير والتقويم[1] .

إن مهمة نيتشه تكمن في تحسين البشرية بقوله : "إنني لا أقيم أوثانا جديدة إنني لا أريد سوى أن تتعلم الأوثان القديمة ماذا يعني أن تكون أقدامها من صلصال أن أطيح بالأوثان (وهو اسم أطلقه على المثل) هو عين مهمتي" [2] ، تتجلى مهمة نيتشه في القضاء على القيم والمثل العليا التي تعتبر نفسها مطلقة كما يسعى إلى هدم القيم التقليدية الدينية منها والأخلاقية والعقلية ليفند قيمة العادات معتبرا إياها أوثان تعيق تقدم البشرية.

يرى نيتشه بأن طرح مشكلة الحقيقة من حيث الأصل والقيمة يطرح مجازفة ويتطلب شجاعة الرأي والجرأة والقدرة على الشك وهذا ما عبر عنه في قوله بأن "إرادة الحقيقة التي ستؤدي بنا أيضا إلى مجازفات عديدة"[3]، وقد انتقل نيتشه من سؤال أصل إرادة الحقيقة إلى قيمتها، وصاغها فيما يلي: أليس الإنسان يريد اللاحقيقة واللايقين وحتى الجهل؟ وهكذا يجازف نيتشه بطرح هذه المشكلة، ويضيف قائلا: إذا قام الفلاسفة بتضاد القيم وعمدوها باسم الحقيقة، فلابد من الشك في الحقيقة وأضداد القيم والتساؤل حول "إذا ما كانت مجرد تخمينات سطحية ومجرد منظورات مؤقتة[4] ، لقد نظر جل الفلاسفة إلى الحقيقة على أنها معطاة من البديهيات فلم يشكوا في قيمة الحقيقة وأصلها، وبالتالي لم تكن لديهم دراسات نقدية جريئة، ذلك أن الفلاسفة محامون

[1]–الشريف عمرو امين، نقد نيتشه لكانط وتاثيره على مابعد الحداثة،أوراق فلسفية، 2006،العدد 6،مركز النيل ص 351.

[2]– نيتشه فريديريك، هذا هو الإنسان، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد ، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، ط2005،1، ص 14

[3]– نيتشه فريديريك، ما وراء الخير والشر، ترجمة:حسان بورقيبة ومحمد الناجي، مصدر سابق، ص 21.

[4]– المصدر نفسه ، ص 21.

يدافعون عن قضية يسلمون بها سلفا ليس لهم شجاعة الرأي كما أن الحقيقة عند الفلاسفة ذاتية: فكل فلسفة "تود بشدة أن تعرض نفسها بالذات غاية نهائية للوجود وسيدة شرعية على سائر الغرائز كلها[1].

لقد اصطدم نيتشه اصطداما فاجعا بمشكلة الحقيقة هده عندما ادر كان الحل الدي وضعه لها يستدعي انقلاب جدري في لوحة القيم كلها فالعالم انساني ،والانسان موجود وهو ليس سوى انسان ولم تعد ثمة حقيقة الا حقيقة الانسان الدي لايوجد وجودا نهائيا وانما في حال صيرورة .

وعليه يدعو نيتشه معاصريه الى ان يتخلصوا من القيم القديمة بوصفها قيم انحطاط وتدهور والمقصود بهده القيم قيم المسيحية وقيم التشاؤم والقيم الفلسفية العقلية داعيا الى تحويل القيم ونقدها و دراسة قيمتها من اجل قيمة الحياة كونها منبع كل شيء [2].

وجه نيتشه نقدا لكل من ديكارت وكانط حول مشكلة الحقيقة، منها ان فلسفة ديكارت لم تعالج مشكلة العقل الاوروبي وهي الوصول الى اليقين لانها تحتوي العديد من التناقضات الموجودة في ثنائية الجسد والروح، فكل ما فعله ديكارت هو تشكيل عادة لغوية على شكل حجة فلسفية وبهذا لم يتحرر من سجن اللغة، بالاضافة الى "ان الذات الديكارتية ما هي الا تطوير للمفهوم المسيحي عن الروح التي ما هي الا وهم ميتافيزيقي تم اضفاؤه على ظاهرة الوعي الانساني"[3] ، وهذا الاخير هو وليد ظروف مادية بحتة، ففارق القوة في المجتمعات القديمة قام بخلق السيد والعبد، وبسبب حقد

[1]– نيتشه فريديريك، ما وراء الخير والشر، ترجمة:حسان بورقيبة ومحمد الناجي، مصدر سابق ، ص 21.

[2]– عباس رواية عبد المنعم ، من قضايا الفلسفة ، دار الوفاء للطباعة والنشر، الاسكندرية ، ط1. 2014، ص53

[3]–الشريف عمرو امين، نقد نيتشه لكانط وتاثيره على مابعد الحداثة، المرجع السابق، ص 358.

العبد على السيد من خلال عجزه عن هزيمته خلق العبد فكرة الروح كشيء غير متجسد وغير منفصل عن الجسد، حتى لا تخضع للسيد وتقوم بهزيمة السيد بدلا عن الجسد، كما انها باقية غير فانية وموجودة عند الجميع وبذلك فان الناس متساوون فلاوجود للفوارق والتراتية، إضافة الى إن الوعي هو اعلاء لحاجات اجتماعية، ففي المجتمع القديم كان الانسان يشبع غرائزه تلقائيا، اما في المجتمع المدني صارت الرغبات والغرائز مكبوتة فتكونت ظاهرة الوعي ومن ثم ظاهرة اللغة [1].

أكد كانط على قدرة العقل على جمع التناقضات من خلال الذات المتعالية غير أن نيتشه يرفض وجودها مؤكدا ان "التناقضات تعبر عن غرائز طبيعية يتسم بها الإنسان بوصفه كائن بيولوجي"[2] ، واصل الافكار المتعالية هو رغبات مادية خالصة من هنا فان مهمة الفيلسوف ليس البحث عن الحقيقة المتعالية وانما تاصيل هذه الاوهام في بيئتها المادية التي اوجدتها.

إن الايمان بمبدأ العلية كمقولة للعقل النظري سببه الحاجة الى المعرفة كوسيلة لفهم العالم والسيطرة عليه اي ان الانسان تتحكم فيه إرادة القوة لا إرادة الحقيقة، لذلك يرفض نيتشه وجود تصورات قبلية لانها مجرد خبرات حسية تم تخزينها في العقل وتراكمت، كما ان أصل الحاجة الى العقل العملي هو حاجة الانسان للشعور بالحرية وهي حاجة مادية [3].

[1]– الشريف عمرو امين، نقد نيتشه لكانط وتاثيره على مابعد الحداثة، المرجع السابق ، ص 358.

[2]– المرجع نفسه ، ص 355.

[3]–المرجع نفسه ، ص 358.

إن مرضه كان باعثا لاكتشاف ذاته نظرا لإرادته في الصحة والحياة ففي اشد انحطاط حيويته امتنع عن التشاؤم [1] ، الثقافة الألمانية المثالية تفقد الإنسان بصيرته اتجاه الحقيقة تعميه عن رؤية الحق، فمثلا تأثره بشبنهاور كان سببا في إنكاره إرادة الحياة لكنه تفطن لذلك معتمدا على ذاته كمعيار للحقيقة فأكد إرادة القوة [2].

قدم نيتشه مفهوما جديدا للحقيقة في الفكر الغربي عندما قلب لوحة القيم الأوروبية، ويظهر الجديد في ربطه بين المعرفة بالنفع الحيوي، فاهبطها من الميتافيزيقا والمنطق الى الواقع، "لتتخذ مكانها في الصعيد النفسي والأخلاقي ولا تعود تطابقا للفكر مع المطلق المتحرر من عبودية المكان والزمان، بل تصبح صورة من صور الاعتقاد واختيارا شخصيا يعيشه الإنسان" [3] ، كما طرح نيتشه مشكلة قيمة الحقيقة والتي أخذت حيزا كبيرا في فلسفته لارتباطها بمشكلة الوجود.

لقد ساد الاعتقاد في تاريخ الفكر الفلسفي بان الحقيقة مطلقة ثابتة غير أن هذا التصور كاذب يخفي وراءه حاجة الإنسان إلى الأمن والوضوح والاطمئنان داخل وجوده ليبرر هذه الحاجة[4].

تتطلب الحياة الاجتماعية تعاملات واتفاقات جزئية للتواصل الاجتماعي لكن الانسان بفعل النسيان والعادة وقع في الخطا معتقدا ان هذه الاتفاقات حقائق ميتافيزيقية مطلقة ليتمكن من تجاوز المجهول والتغلب على الخوف النابع من الغموض قصد السيطرة عليه [5].

---

[1]– نيتشه فريديريك، هذا هو الإنسان، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، المصدر السابق، ص 26.

[2]– المصدر نفسه ، ص 29.

[3]– المصدر نفسه ، ص 30.

[4] – مفرج جمال ، نيتشه الفيلسوف الثائر، مرجع سابق، ص 55.

[5]–الشريف عمرو امين، نقد نيتشه لكانط وتاثيره على مابعد الحداثة، المرجع السابق ص 360–362.

إذا إن دافع الحقيقة بيولوجي لان حافز الاختراع يتمثل في البؤس وضرورة العيش، لقد تم خلق المفاهيم لإدراك الصيرورة وتحقيق الاستقرار في التغير[1] ، وهكذا يرتاح الإنسان ويطمئن نفسيا، لآن الحياة تقويم ولكي يحيا الإنسان لابد له من أن يضع قيما، ومعنى هذا أن يفاضل ويوازن ويعطي لهذا الشيء من القيمة أكبر مما يعطيه للآخر"[2].

تتجه المعرفة إلى السيطرة على الأشياء وإخضاعها، فالغاية من المعرفة ليس للكشف عن الحق، والمعرفة في تطور لإيجاد ظروف جديدة للمحافظة على الحياة ونموها، وأما الثقة بالعقل ومبادئه وبالمنطق وقيمه يرجع إلى ما تحقق من نفع للحياة وليس لكونها حقيقية، وهكذا تصبح الحقيقة مجرد وسيلة لخدمة الحياة. "إن جوهر الحقيقة ليس في كون شيء من الأشياء حقا وإنما هو أن يعتقد الإنسان أنه حق"[3] وعليه فان الاعتقاد بوجود حقيقة ما مجرد وسيلة فقط وليس دليلا على وجود حقائق في ذاتها. إن "الدافع إلى الاعتقاد في وجود عالم آخر لم يكن حاجة ولكن خطا في تفسير بعض الظواهر الطبيعية فتأثير الأفكار الدينية هو الذي جعلنا نتعود على تصور عالم آخر، وتأثير الخوف هو الذي جعل الدين يتسرب إلى الوجود عن طريق العقل الضال"[4].

إن المعرفة ليست أمرا ضروريا جوهريا بل هي كسب واعتياد وأكثر من هذا لم يكن طلب الحقيقة من أجل الحقيقة ذاتها وإنما كان لحفظ الحياة [5] ، لكن قام الفلاسفة الفلاسفة بتعميم هذا التصور إلى أن أصبح نازعا فكريا نحو المعرفة واليها، لذلك

[1] – مفرج جمال، نيتشه الفيلسوف الثائر، مرجع سابق، ص55.

[2] – بدوي عبد الرحمن، خلاصة الفكر الأوروبي نيتشه، وكالة المطبوعات، الكويت، ط 5، 1975، ص 216.

[3] – المرجع نفسه، ص 232.

[4] – مفرج جمال، نيتشه الفيلسوف الثائر، مرجع سابق، ص48–49.

[5]– نقلا: الشيخ محمد، نقد الحداثة في فكر نيتشه الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط 1، 2008، ص 520.

قسمت الميتافيزيقا التقليدية الوجود إلى قسمين الوجود الحقيقي والوجود المظهري، ونتج عن هذه الثنائية نظام ترتيبي للقيم قيم عليا ارفع من القيم الحسية، كما وجدت الميتافيزيقا التي اخترعت عالم الحقائق طريقها في الجدل الأفلاطونية، وهكذا تأسس تاريخ الفكر الفلسفي الغربي على هذه الثنائية الميتافيزيقية، غير أن العالم الالميتافيزيقي أكذوبة نهايتها العدمية [1] .

يرفض نيتشه كل الحقائق القائمة على المثاليات لان الحقيقة واقعة إنسانية اذ يقول ثائرا على المثاليات التي اخترعها الإنسان: "بقدر ما اخترعنا عالما مثاليا بقدر ما جردنا الواقع من قيمته معناه وحقيقته"[2] ، إن تقسيم العالم إلى عالم حقيقي وعالم ظاهري هو أكذوبة وزيف جعل غرائز الضعف ارفع قيمة من غرائز القوة والحياة، إن تاريخ الفلسفة يظهر أن الفلاسفة وقعوا في خطا الاعتقاد في المثال بسبب الجبن [3] .

إن سبب الاعتقاد الميتافيزيقي راجع إلى رفض الصيرورة، فكانت الإجابة افتراضات روحانية بسبب لعجز الفلاسفة عن استخلاص الشيء من نقيضه ، لكن **هيراقليطس** نفى ازدواجية العالمين مؤكدا على العالم الظاهري الفيزيائي الذي يثبت استمرارية وصيرورة الواقع ويظهر أن الخوف من التغير ومن الصيرورة هو الذي دفع الفلاسفة في نظر نيتشه إلى تصور عالم يكون فيه وجودنا ممكنا لأنه يكون عالما قابلا للحساب وبسيطا ومفهوما ويظهر أيضا أن الميتافيزيقا عندما تضع عالم الحقائق فهي لا تضع في الحقيقة إلا عالما من الخيال المحض وإفرازات الخاطر[4].

[1] – مفرج جمال، نيتشه الفيلسوف الثائر، مرجع سابق ، ص52 .

[2]– نيتشه فريديريك، هذا هو الإنسان، مصدر سابق، ص14.

[3]– المصدر نفسه، ص15.

[4] – مفرج جمال، نيتشه الفيلسوف الثائر، مرجع سابق، ص51.

رغم اتفاق اغلب الفلاسفة على رفض الحواس لأنها تظهر التنوع والتحول إلا أن هيراقليطس اثبت أن الحواس لا تكذب لأنها تكشف عالم الصيرورة فهو على حق عندما اعتبر الكينونة وهم مؤكدا أن العالم الظاهر وحده هو الموجود أما العالم الحقيقي فهو وهم وزيف وكذب، الحقيقة عميقة غير سطحية، الكذب والرياء أوامر إلهية ، فمن فرط جبنه لا يكذب ، لهذا فان الفلاسفة وقعوا في خطا عند إيمانهم وتسليمهم بان الصيرورة خداع[1].

كما يضيف نيتشه سببا آخر دفع الفلاسفة إلى القول بالحقيقة في ذاتها ومن أجل ذاته، فهذا في نظره نفاق وتمويه تتخفى من ورائه إرادة القوة ، حيث يسعى الفلاسفة إلى السيطرة والسيادة بأفكارهم وأرائهم [2] ، وهكذا تصبح الحقيقة وسيلة في يد الفلاسفة وحتى الكهنة لتحقيق السلطة والسيادة والإخضاع إن الميتافيزيقا ولدت من غريزة السيطرة فلا وجود لغريزة المعرفة فالمعرفة مجرد أداة فقط ، "ذلك أن كل غريزة تجنح إلى السيطرة وتسعى باعتبارها كذلك، إلى أن تتفلسف"[3] ، وعليه فان الفلسفة ما هي إلا غريزة القوة.

انطلاقا من هذه الأسباب التي دفعت إلى تأسيس الميتافيزيقا فان نيتشه يؤكد أن الحقيقة من صنع الإنسان فهو الذي يضع للأشياء قيمها ويحكم عليها حسب إرادته لذلك فإن "الحقائق ليست إلا أنسنة للظواهر وتثبيتا للتغير وتنظيما للفوضى فهي لا تتسم بأية تقويمات موضوعية لان الحقيقة الموضوعية لا وجود لها ولا يمكن العثور عليها وتسمية الأشياء حقائق لأنها تشبع رغباتهم؛ وعليه فان إرادة الحقيقة هي إرادة

[1]– مفرج جمال، نيتشه الفيلسوف الثائر، مرجع سابق ، ص 27.

[2] – بدوي عبد الرحمن، خلاصة الفكر الأوروبي نيتشه، المرجع السابق، ص 233.

[3]– نيتشه فريديريك، ما وراء الخير والشر، ترجمة: حسان بورقية، مصدر سابق ، ص 19.

القوة فلا وجود لحقيقة في ذاتها لان اصل الحقيقة هو نفع الحياة وتقديم الشروط اللازمة لنموها؛ وهكذا تصير الحقيقة وسيلة لتحقيق غاية حيوية"[1].

إن ما ينطبق على الحقيقة ينطبق على مبادئها أي مبادئ العقل، فإذا كانت الحقيقة سبب الانحطاط فان مبادئها أوهام أثقلت فكر الإنسان وأعاقت تطوره ومن هذه المبادئ نذكر:

مبدأ الهوية: يرى نيتشه بأنه شرط للتفكير وليس شرطا للوجود، فهو وسيلة منطقية صنعها العقل لتحقيق الوضوح في عالم الصيرورة

مبدأ عدم التناقض: إنه دليل على عجز العقل على فهم الوجود المتناقض وصيرورته الدائمة.

مبدأ العلية: هو محاولة لتنظيم العالم ومعقوليته لتقريب فهم العالم والسيطرة على الأشياء و بالتالي فان غاية العلية نفع الحياة[2] .

يطرح نيتشه اصل إرادة الحقيقة وقيمة هذه الإرادة، يعرف الإنسان بأنه باحث عن الحقيقة " أي عن عالم لا تناقض فيه ولا انخداع ولا تغير– عالم حق– عالم لا يعاني فيه الإنسان"[3] ، بيد أن الواقع المعاين يشهد على التناقض والوهم والتغيير وهي أسباب معاناة الإنسان الباحث أصلا عن الطمأنينة [4].

يربط نيتشه المعرفة بالمنهج الفيزيولوجي فهي مقيدة بالجسد ومشروطة به، لأنها نازع من تراتبية النوازع وتصارعها، كما أنها منظور من منظورات الحياة لتعلقها بالحياة

[1] – مفرج جمال، نيتشه الفيلسوف الثائر ، مرجع سابق، ص 56

[2] – المرجع نفسه ، ،ص 56–57.

[3]– الشيخ محمد، نقد الحداثة في فكر نيتشه، مرجع سابق ،ص521.

[4]– المرجع نفسه، ص 522.

وتطورها، فهي مرتبطة بأمور حيوية تتحقق بالجسد؛ وهكذا فإن المعرفة ليست من أجل المعرفة وإنما من اجل الحاجة، لهذا فلا وجود لنازع للمعرفة وانما هناك نازع للاعتقاد في المعرفة والحقيقة، لان السعي إلى الحقيقة جنون وحماقة [1] ، وفي هذا السياق يقول: "إن التفكير الواعي لفيلسوف ما، يوجَّه في معظمه بشكل خفي من قبل ميوله الفطرية ويصب بالضرورة في مذاهب محددة. ووراء كل المنطق والسيادة الظاهرة في خطوات تفكيره، نعثر على تقييمات ما، أو بشكل أوضح، على مطالب فسيولوجية تفرضها ضرورة الحفاظ على نمط حياة معين"[2] ، كما أعمل نيتشه المنهج السيكولوجي عندما ارجع الحقيقة إلى الخوف من الصيرورة بحثا عن الطمأنينة، كما أقر بأن الغاية من وراءها إرادة القوة أي السيطرة.

إن إيمان الفلاسفة بان أصل إرادة الحقيقة كامن في الميتافيزيقا أي في الخالد في إله خفي في الشيء في ذاته، "إن إيمان الميتافيزيقيين الجوهري هو الإيمان بمفارقة القيم"[3] ، غير أن هذه مجرد أحكام مسبقة لم يشكوا فيها ولم يتساءل الفلاسفة حول القيم الميتافيزيقية إذا لم تكن مجرد تخمينات سطحية ومنظورات مؤقتة؟ ربما كان من الممكن أن نعطي للظاهر ولإرادة الخداع والأنانية والرغبة قيمة أعلى من قيمة كل حياة، بل كان من الممكن أيضا أن تكون قوام تلك الأشياء الطيبة المعروفة جدا، في تلك الطريقة الخداعة بالضبط التي تقاربت بها وانسدت وتشابكت، وربما تماثلت في العمق مع الأشياء القبيحة التي تبدو متعارضة معها[4].

[1]– الشيخ محمد، نقد الحداثة في فكر نيتشه، مرجع سابق، ص523–524.

[2]– نيتشه فريديريك، ما وراء الخير والشر، مصدر سابق، ص 17.

[3]– المصدر نفسه، ص 11.

[4]– المصدر نفسه، ص 16.

الفكر النافي منتقص من قيمة الحياة، الحياة الارتكاسية منتقصة قيمتها، سقراط معه يظهر انحطاط الفلسفة إذ ميز بين عالمين: الجوهر الظاهر والمعقول المحسوس فجعل الحياة شيئا محسوسا ظاهرا تحمل حكما حسب قيم عليا إلهية، أما **كانط** اعتقد البعض انه أصلح النقد لكنه كشف المشكلة بفضح المعارف الزائفة والأخلاق المزيفة لكنه لم يطرح طبيعة القيم وأصلها بل ترك كل شيء مقدس رغم انه يحتوي تطلعات زائفة [1].

انتهى عصر التراجيديا مع **سقراط** وبدأ عصر الإنسان الناظر الذي يسعى إلى الحقيقة، وكانت هذه البداية نسيان للأصول الحقيقية للمعرفة، إن سقراط عدو ديونيزيوس وقاتل التراجيديا والمتعصب للمعرفة، فجعل الحياة سلبية أضعفها بمقولات المنطق ودمرها، "وصار يسند إلى العلم والمعرفة الفضيلة العلاجية ضد التشاؤم وينظر إلى الخطأ والوهم بما هما الشر"[2] ، أما أفلاطون بكراهيته للفن والحواس، انه مؤسس المفهوم والجدل ومنظر الفكرة والمثال، وأخيرا أرسطو فإن الإله عنده ما هو إلا صورة لإنسان ناظر[3] ، لذلك كان سقراط رمز الانحطاط وبدايته، لان المفاهيم المنطقية لا تقدم لنا الحقيقة وإنما يجب الاعتقاد بها فقط، "فالعمليات المنطقية بما ذلك مقولات كانط، لا تمتلك شيئا قبليا أو كليا عن هذه العمليات. فهي نتاج للتطور، وهي أدوات تخترعها الإرادة وتستخدمها لأغراضها؛ لأنها لا تخبرنا بشيء عن الطبيعة الحقيقية للواقع"[4] ، والحقيقة هي ببساطة ما يعمل باستمرار لتحقيق رغبات إرادة القوة فلا وجود

[1] – دولوز جيل ، نيتشه ، تعريب: أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1998، ص 24-25.

[2]– الشيخ محمد ,نقد الحداثة في فكر نيتشه، المرجع السابق، ص537.

[3]– المرجع نفسه، ص537.

[4]– رايت وليم كلي، تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة: محمود سيد أحمد، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط 1، 2010 ص 379.

لمعايير مطلقة سواء في المنطق أو في الأخلاق، فما يكون اليوم صادقا قد يكون غدا خاطئا، والذي يحدد الصدق هو مبدأ المنفعة.

بسبب الاستخدام الدائم والاستعمال المتكرر أي بفعل العادة تغيرت الحقائق إلى أوهام، واللغة من ادوات انتاج الوهم لان علاقة الدال بالمدلول اعتباطية تعسفية فلا تطابق بين الاسماء والاشياء لكن بعد الاستعمال المتداول الطويل صارت الاسماء تدل على الاشياء، "إن كل ما هو طيب وخير، وكل ما هو جميل مصدره الوهم إن الحقيقة تقتل بل أكثر من ذلك إنها تقتل ذاتها عندما تكتشف أساسها هو الخطأ"[1]، ومن نتائج القول بالحقيقة هو العدم فالمطلقية تجعل الأفكار ثابتة جامدة غير قابلة للتطور فينعدم الإبداع والتجديد كما يمتنع الشك واللايقين فتصبح الحياة مملة روتينية. إن إرادة الحقيقة تؤول إلى العدمية لأنها تفضل اليقين على مجموعة من الإمكانات وبذلك تفضل اللاشيء على شيء لا يقيني[2] وعلى هذا الأساس ثار نيتشه على منطق الوحدة والكلية الذي يختزل التعدد والصيرورة.

إن غياب الحس التاريخي عند الفلاسفة وحقدهم على الصيرورة دفعهم إلى تجريد القضايا من تاريخيتها وتمجيدها بتحنيطها [3] ، فأسسوا لنظريات وفلسفات تشيد بالحقيقة المطلقة، "وبحكم إنهم يعجزون عن إدراكها يبحثون عن مبررات لتفسير كونها تنفلت منهم. ساد الاعتقاد بان الحواس وهم وزيف فالفلاسفة يسلمون بالوحدة والثبات "الوحدانية الرتيبة" ويرون فيها الحقيقة أما عالم التغير والصيرورة فهو باطل[4].

[1]– نقلا: سبيلا محمد و عبد السلام بنعبد العالم، الحقيقة، دفاتر فلسفية، دار توبقال للنشر، المغرب، ط 2، 2005، ص 74.

[2]– نيتشه فريديريك، ما وراء الخير والشر، ترجمة: حسان بورقيبة، المصدر السابق، ص 31.

[3]– نيتشه فريديريك، أفول الأصنام ، حسان برقيبة ، المصدر السابق، ص 25.

[4]– ، المصدر نفسه ص 26.

الديالكتيك يرجع الأشياء والميزان إلى الروح أو إلى وعي الذات لكن ما الفائدة من مميزات تمثل حياة ارتكاسية وفكر ناف فعلى الرغم من معرفة حقيقة الكاهن باستبطانه فانه لم يتم إلغاء الدين بل حمل الإنسان أثقالا، إن تحطيم الأثقال "القيم العليا" غير كاف بقتل الإله غير كاف لإحداث تحويل القيم لان الإنسان بعد تحرره من السلطة الخارجية "القيم العليا" أصبح صانع القيم محملا بأثقال الإنسانية، وهكذا بعد تحرره من خضوعه الميتافيزيقي صار خاضعا لما هو إنساني أذا التاريخ الفلسفة من سقراط إلى هيغل تاريخ خضوع[1].

يسخر نيتشه من فهم الفلاسفة للحقيقة قائلا: " لنفرض أن الحقيقة امرأة، ألا يمكن أن نشك في أن كل الفلاسفة، باعتبارهم كانوا مؤسسي أنساق، لم يفهموا النساء في شيء؟ وفي أن جديتهم المرعبة وإلحاحهم الأرعن اللذين حملوهما إلى الآن في مطاردتهم للحقيقة، لم يكونا سوى إجراءين أخرقين وغير لائقين من اجل خداع امرأة؟ المؤكد أنها لم تنخدع بذلك، وأن كل أنواع الأنساق قد ظهرت اليوم بمظهر الرثاء والخذلان"[2].

يدعي الفلاسفة بان الحقيقة نهائية ومطلقة، غير أن أساس صروح هذه الفلسفات الدغمائية هو تلك الخرافات الشعبية الغابرة كخرافة الروح في صيغة الموضوع والذات، فما قام به الفلاسفة هو التلاعب اللغوي وتعميمات ذاتية إنسانية جدا، الفلسفة الدغمائية ظهرت بأقنعة مخيفة لكي ترسخ تعاليمها في الفكر البشري، ومن هذه الفلسفات نجد الأفلاطونية التي اختلقت العقل الخالص والخير في ذاته، مشيدة انساقا فلسفية وعمارات شامخة لكن أساسها خطأ؛ لذلك قلب نيتشه الحقيقة لمقاومة هذا الخطأ، لأنها خلقت حالة من التوتر الروحي في أوروبا من خلال التعاليم المسيحية

[1] – دولوز جيل، نيتشه، ترجمة : اسامة الحاج ، ص 25-26.

[2]– نيتشه فريديريك، ما وراء الخير والشر، ترجمة: حسان بورقية، المصدر السابق، ص 11.

والعقلانية الديمقراطية [1] ، إن الفلاسفة محامون مدافعون ماكرين عن أحكامهم المسبقة والمعمدة "حقائق" من طرفهم. كما أن "هناك متعصبون للضمير، طهرانيون يفضلون الموت ممدين على عدم مؤكد عوض واقع مريب" [2] ، وهكذا تنتهي الدغمائية الفلسفية إلى العدمية.

يبدد نيتشه تأثير كانط على الفلسفة الألمانية وبالأخص تباهيه باكتشافه لوحة المقولات وكذا اكتشاف ملكة الأحكام التاليفية القبلية، وهكذا أغرى جميع المفكرين السباب لاكتشاف ملكات جديدة، وأجاب كانط عن إمكانية وجود هذه الأحكام بموجب ملكة ما، وفي إجابته تنويم للفكر لذلك استبدلها بسؤال آخر لماذا يكون الإيمان بمثل هذا النوع من الأحكام ضروريا؟" يجيب نيتشه بان سبب الإيمان بهذه الأحكام كان من اجل الحفاظ على الحياة، إنها في فمنا أحكام خاطئة؛ لكن من الضروري أن نعتبرها حقيقية"[3].

لماذا وجد الإنسان في عالم التغير سبب معاناته؟، لماذا لا يكون الأثر على وجه الضد أليست هذه أسباب سعادته كل ما يكسب مزيدا من القوة والغنى والشرف وهكذا يمكن للخطأ نافعا للإنسان، لان "الأخطاء ضرورة حيوية للإنسان لولاها لفقد حياته"[4]، وإذا ثبت أن الخطأ شرط الوجود بديلا عن الحق فان إرادة الحقيقة ستؤول إلى الموت، وكذا فان جهود الفلاسفة والعلماء الرامية إلى طلب الحقيقة تنتهي إلى العدم.

[1]– نيتشه فريديريك، ما وراء الخير والشر، ترجمة: حسان بورقية، المصدر السابق ، ص 11–12.

[2]– المصدر نفسه، ص 22.

[3]– نيتشه فريديريك، ما وراء الخير والشر، ترجمة: حسان بورقيبة ، مصدر سابق، ص 24.

[4]– الشيخ محمد، نقد الحداثة في فكر نيتشه ، المرجع السابق، ص 522.

يؤكد نيتشه بأن الخطأ شرط ملازم للوجود، ذلك أن المبدأ الأول للحقيقة هو "ما لا يفيد الكائنات في المحافظة على الذات ليس مهما في شيء"[1]، لسمو الحياة وتطورها لابد من أخطاء كبيرة لا حقائق صارمة لان العالم في تغير مستمر، إن الاعتقاد في الأشياء وفي الصيرورة لازم وشرط لكي يعيش الإنسان، وبهذا يصير الخطأ شرطا ملازما للوجود[2]، كما انه شرط للمعرفة، "فلا يمكن معرفة شيء عن الواقع إلا بتخطئته فكل معرفة تتعرض إلى الخطأ"[3] ، ونستحضر موقف برتراند راسل القائل بأن :"إن تاريخ العلم تاريخ أخطاء."

لاوجود لحقيقة مطلقة بل هناك حقائق عديدة لا حقيقية ضرورية للحياة، لأن الحقيقة هي كل ما ينمي الحياة، يجازف نيتشه بفلسفة جديدة تقر "باللاحقيقة شرطا للحياة" [4] ، كما أن أكثر الأحكام خطا هي الأكثر لزوما في الحياة فلا يمكن للإنسان أن يعيش إذا استغنى عن الأحكام الخاطئة[5] ، لأنه من الخطأ نتعلم محاولين تصحيحه للكشف عن ما هو جديد فيصبح الفكر حيويا .وفي هذا الصدد يقول نيتشه: " ان يكون حكما خاطئا فان ذلك لا يشكل في نظرنا اعتراضا على هذا الحكم ، فالمسالة تنحصر في معرفة مدى صلاحية هذا الحكم في ترقية الحياة ورعايتها وحفظ النوع، بل وتحسينه"[6].

[1]– سبيلا محمد وعبد السلام بنعبد العالم، الحقيقة، دفاتر فلسفية، مرجع سابق ، ص 27.

[2]– المرجع نفسه، ص 28.

[3]– سبيلا محمد وعبد السلام بنعبد العالم، الحقيقة، دفاتر فلسفية، مرجع سابق ص 28.

[4]– نيتشه فريديريك، ما وراء الخير والشر، ترجمة:حسان بورقيبة ومحمد الناجي، مصدر سابق ، ص 24.

[5]– المصدر نفسه ، ص 25.

[6]– المصدر نفسه ، ص 17.

وعليه فإن الحقيقة تعرف بالواقع فهي "صفة أو خاصية لبعض أفكارنا فهي تعني اتفاقها مع الواقع تماما مثلما يعني الباطل اختلافا معه"[1]، كما صدق الفكرة مرتبط بالنتائج الواقعية الناجحة النافعة حسب المذهب البراغماتي، إن الحقيقي" ليس سوى النافع الموافق المطلوب في سبيل تفكيرنا تماما كما أن الصواب ليس سوى الموافق النافع المطلوب في سبيل مسلكنا"[2] ، "فالناس لا يحاولون اجتناب الخديعة بقدر ما يحاولون تجنب الآثار الضارة الناجمة عنها وفي هذا المستوى فإنهم لا يكرهون الوهم، لكنهم يخافون العواقب السيئة الناتجة عن بعض أنواع الوهم"[3] ، إذا الإنسان يسعى إلى النتائج الحميدة للحقيقة المتمثلة في المحافظة على الحياة.

إن الحقيقة ظواهر إنسانية وقيم أبدعها العقل بفعل العادة والنسيان والخطأ أصبحت راسخة صلبة فاعتقد الناس إنها حقيقية في ذاتها، كما أصبحت مع طول الاستعمال تبدو دقيقة مطلقة ثابتة وصادقة في ذاتها ولها سلطتها ، نسي الإنسان أصل الحقيقة وتعود على الفكرة القائلة بان الحقيقة مطلقة، وبالتالي وقع في أخطاء وعليه فإن "الحقائق هي عبارة عن أوهام نسينا أنها كذلك، واستعارات استخدمت كثيرا حتى فقدت قوتها"[4] ، أي ان ما تعود عليه الانسان وما الفه على اساس انه حقيقة الى ان يطهر له الصواب تتتلاشى الغيموم عن ما كان متخفي

إن معيار الحقيقة عند المسيحية هو الإيمان المنقذ والمخلص غير أن الخلاص غير مبرهن عليه بل شيء موعود به لارتباطه بالإيمان [5] ، والحقيقة في المسيحية تأخذ شكلها في الكنيسة التي تسعى من وراء الادعاء بأنها تمتلك الحقيقة المطلقة

[1]– سبيلا محمد و عبد السلام بنعبد العالم، الحقيقة، دفاتر فلسفية، مرجع سابق ، ص 68.

[2]– المرجع نفسه، ص 69.

[3]– نقلا: اسبيلا محمد و عبد السلام بنعبد العالم، الحقيقة، دفاتر فلسفية، مرجع سابق ص 74.

[4]– المرجع نفسه، ص 74.

[5]– المرجع نفسه، ص 75.

حقيقة الإله فإنها تسعى إلى السلطة والسيطرة على الضعفاء وهكذا تصبح الحقيقة وسيلة لتغطية أفعال السيطرة، فنجد كل شعب أو فرد يدعي بأنه يملك الحقيقة يشرع لنفسه كل الوسائل لبلوغ غايته دون مراعاة الآخر والذي بدوره يمتلك حقيقة معينة ويعتقد بها وهنا تنتج الحروب والفوضى نتيجة التعصب والتطرف، لكن لو وضع كل واحد فينا أنه نسبي من حيث هشاشة تكوينه ومبدأ اللاعصمة كما قال بول ريكور ومن حيث تناهيه في الزمان والمكان لتأكد لديه أن الحقيقة نسبية.

إن الإنسان الكائن المقوم يسقط قيما على الأشياء حسب إرادته فيرى الحقيقة في كل ما يحقق له منفعة حيوية ويزيد القوة والنمو وارتقاء في الحياة، وما يزيد الضعف والانحطاط والتدهور فانه باطل، لذلك فإن "معيار الحقيقة يقوم في تقوية الشعور بالقوة"[1]، فمعيار الحقيقة هو النفع حسب ما تحدده إرادة القوة لتحقيق أغراضها وغايتها المتمثلة في نمو الحياة والسيطرة على الأشياء والإثراء، وعليه فلا وجود لحق في ذاته أو خطأ في ذاته، كل ما هنالك ظواهر إنسانية وقيم نسبية، وفي هذا الصدد يقول نيتشه:" إن الحق نوع من الخطأ لا يستطيع نوع معين من الكائنات الحية أن يحيا بغيره"، لذلك فإن إرادة الحقيقة وسيلة لإرادة القوة، وفيما يتعلق بالمنظورية فان " قيمنا هي عبارة عن تأويلات أدخلت من طرفنا على الأشياء" والدلالة نسبية لان كل دلالة إرادة قوة[2] ، وهكذا فان الحقيقة قيمة وجودية في خدمة الحياة لان التصور النفعي ينظر الى العالم من وجهة المنفعة.

تأثر نيتشه بنظرية التطور عند داروين فطبقها على فلسفته فرأى بأن الحقيقة تتطور في صيرورة دائمة لخدمة تقدم البشرية، كما أن تتطلب المعرفة الإنسانية تقويما وتقديرا فهي تخضع لجدول التراتب القيمي، "فبحسب مقدار ما تعلو بالشعور بالقوة تكون درجة

[1]– نقلا: اسبيلا محمد و عبد السلام بنعبد العالم، الحقيقة، دفاتر فلسفية، مرجع سابق ، ص 76.

[2]– مرجع نفسه ، ص 77.

الحق فيها، وبمقدار ما تكون وسيلة للحصول على القوة من أجل تشكيل الأشياء بحسب إرادتنا تكون قيمتها"[1] .

هناك تقارب ضئيل بين فكر نيتشه وفكر البراغماتية حول مشكلة الحقيقة، حيث يشتركان في القول بالنسبية ومبدأ المنفعة، "غير أن تصوراتهم قد تطورت وطبقت بطرق مختلفة أتم الاختلاف، ولا تدين بشيئ لنيتشه. وبينما يبدو نيتشه أحيانا ينكر وجود معايير مطلقة في المنطق والأخلاق، إلا أنه مع ذلك يعتقد بوضوح أن فلسفته الخاصة هي حقيقة مطلقة، وأن تأكيد إرادة القوة صحيح بصورة مطلقة باستمرار وخير بصورة مطلقة. أن نيتشه ليس أساسا فيلسوفا نسبيا وليس فيلسوفا براغماتيا "[2]، لكننا نجده في كثير من المواقف يطلب من تلامذته أن يخالفوه و لا يتبعوه، بل يطالبهم بالبحث عن حقيقتهم الخاصة بهم، بالإضافة إلى هذا فإننا نجد حضور الفكر السفسطائي في فلسفة نيتشه عندما أكد أن الإنسان معيار الحقيقة، وهذا ما قالت به السفسطائية سابقا عندما صرح بروتاغوراس قائلا: " الإنسان مقياس الأشياء جميعا".

إن الحقيقة متعددة بتعدد الآراء والأفكار، وعلى الأرواح الحرة وفلاسفة المستقبل التحرر من الأصنام الإنسانية لأنها تقيد الفكر وتضعفه وتجعل الثقافة منحطة فتكون سببا في العدمية؛ لذلك يجب التحرر وتجاوز الأفكار الراسخة والعادات والتقاليد البالية وكل الحقائق الثابتة المطلقة، وذلك بهدمها وتحطيمها بضربات المطرقة للإبداع والتجديد وبناء أفكار ومعارف جديدة. وحتى لا تتحول هذه الأخيرة إلى قيود تكسرنا لابد لها أن تكون مرنة قابلة للتطور أي في صيرورة دائمة فلا تستقر على حال؛ ذلك أن الحفاظ على الحياة ونموها يتطلب مزيدا من الطاقة والحيوية والقوة دون توقف، مع العلم أن ضروريات الحياة وغرائزها لا تشبع وهكذا فان ما يكتشفه الإنسان اليوم ويعتبره

[1] – بدوي عبد الرحمن، خلاصة الفكر الاوروبي نيتشه، مرجع سابق ، ص 233.

[2]– رايت وليم كلي، تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة: محمود سيد أحمد، مصدر سابق ، ص 380.

صحيحا قد يكون غدا خاطئا، لذا علينا أن لا نؤمن بوجود حقائق في ذاتها ونتخذ من اللاحقيقة سندا في حياتنا، فالحقيقة مجرد وسيلة لإرادة القوة نعتقد بها كعرض وظاهرة.

كل ما كان يسمى حقيقة هو مجرد أوثان وأفول الأوثان معناه نهاية الحقيقة البالية، لذا يسعى إلى تحطيم الأوثان الخالدة والأكثر حداثة منها الأفكار الحديثة مثل المساواة الديمقراطية[1]، وفي هذا الصدد يصرح نيتشه قائلا: "أنا لا أريد أن أكون قديسا"[2] ، إنني صوت الحقيقة لكن حقيقتي مخيفة تسمية الأكاذيب حقائق تجاوز تقييم كل القيم. إنني أول من يكتشف الحقيقة باستشعار الزيف كزيف، يجب على الحقيقة الاشتغال بالصراع مع زيف العصور لإعادة تقييم القيم، "إن من يكون مبدعا في الخير والشر يجب أن يكون في البدء مدمرا ويمزق القيم تمزيقا"[3].

تأثر نيتشه بالفلسفة الإغريقية وخاصة هيراقليطس صاحب فكرة الصيرورة، فرأى بان الحواس لا تكذب لأنها تقدم لنا حقيقة العالم الذي نعيشه وتبرز لنا التغيرات والتحولات والتي من شانها أن تساهم في التطور، كما يمكن القول أنه اعتمد على الطرح السفسطائي القائل بأن الانسان مقياس جميع الاشياء فهو الذي يحدد الحق والباطل، وذلك من خلال معيار المنفعة، كما أن المعارف تكتسب بالتجارب العملية الفردية، أي أن الواقع والحياة هما من يبين للانسان صدق القضايا، وكان هذا الطرح بذور مذهب جديد معاصر وهو المذهب البراغماتي؛ وعلى هذا الاساس فإن المعرفة ذاتية نسبية وليست موضوعية مطلقة؛ لانها تتغير حسب تغير الافراد ومنافعهم.

إن نيتشه يدعو إلى التطور وهذا المفهوم أخذه من داروين، لكن التطور الذي يقصده ليس من اجل البقاء وإنما من اجل الارتقاء، وهكذا فان الحقيقة هي كل ما

[1]– نيتشه فريديريك، هذا الإنسان، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، مصدر سابق ، ص 155.

[2]– المصدر نفسه ، ص 173.

[3]– المصدر نفسه، نفس الصفحة .

يساعد على نمو الحياة وتطورها، وهي ليست غاية في ذاتها وإنما وسيلة للمنفعة وحتى يتحقق ذلك لابد أن تتصف الحقيقة بالمرونة والمراجعة المستمرة فالحقائق الصلبة الراسخة تقف حاجزا أمام التطور، فتعيق كل ما هو جديد و تمنع حدوثه، وهذا يظهر في الإيمان الراسخ و الاعتقاد القوي الذي يتحول إلى قاعدة متينة الأساس مما يصعب تجاوزها فيبقى الفكر في حالة من الروتين والجمود فينعدم الإبداع وأكثر من ذلك تنتشر الفوضى والحروب لان كل طرف متعصب لرأيه ويعتبره الحقيقة المطلقة.

فيلسوف التعددية يؤمن **بالمنظورية** فكل شيء وكل موضوع يمكن تأويله حسب الاتجاهات والنزعات لان كل النصوص هي قراءة جديدة للنص، لذلك يجب تجاوز الأحكام المسبقة سواء اللاهوتية أم الأخلاقية لتجاوز الذاتية وتحقيق الموضوعية، لان الإنسان في الأغلب دراساته يتأثر بأحكامه المسبقة التي توجه بحثه، غير أن نيتشه يؤكد على الدراسة الحقيقية الصحيحة هي التي تكون خارج الموضوع المدروس فيتجرد الإنسان من مكتسباته المعرفية حول الموضوع ويتحرر من أثقاله الفكرية ليصل إلى درجة الشك ليكون منطلق بحثه متسائلا أولا عن قيمة الأشياء وأصلها وتاريخيتها وأسبابها معتمدا على الحس التاريخي والنقدي والتفسير النفسي الفيزيولوجي وجانب وفير من الفيلولوجيا وهذا كله تشمله الجينيالوجيا " النقد بضربات المطرقة.

إذا كانت المنفعة معيار الحقيقة فان الحياة ديمومة وصيرورة فهي في تغير مستمر كالتيار المتدفق في جريان دائم لذا فان النفع يتغير بتغير الحياة ويستمر باستمرارها ليس للحفاظ عليها فقط وإنما لنموها وارتقائها وهذا ما يجعل الحقيقة نسبية متغيرة بتغير ظروف الحياة ومستلزماتها وتطور العلم وحقائقه.

ومن شروط دراسة أي معرفة أو تاريخ الحقيقة لابد من اتباع المنهج الجينيالوجي القائم على ما يلي:

التحرر من الأحكام المسبقة.

الحس التاريخي النقدي.

التأويل المفتوح القائم على المنظورية.

دراسة الأسباب المتخفية وراء الأشياء للكشف عن حقيقتها.

الاعتقاد بان الحقيقة إرادة قوة، وظواهر إنسانية نسبية، ومن صفاتها الليونة والمرونة والإثبات، أي تؤكد على الحياة والذات والجسد والغرائز.

أصول الأشياء تم نسيانها وبسبب الاستعمال الدائم والتعود عليها وقع الإنسان في الخطأ معتقدا بالشيء في ذاته، وأداة ذلك اللغة، كما قيدته الأوهام الأخطر من الخطأ لرسوخها وصلابتها.

نيتشه كان قسيسا وكان متشائما ماذا قدمت له الثقافة الألمانية المثالية حطمته أضعفته أفقدته بصيرته اتجاه الحقيقة بل كانت كل المشاعر والقيم التي امن بها من قبل تضر بصحته، وبما انه كان مريضا كان يتفادى القيم التي تزيده استياء باحثا عن قيم الحيوية والنشاط ليتجاوز ألمه، فتفطن لذلك وقلب كل القيم باحثا عن قيم جديدة تعزز صحته وتقوي إرادته ليتشبث بالحياة ويشعر بغريزة الحياة والقوة ليتجاوز مرضه الجسدي وهذا ما طبقه على الثقافة الألمانية المثالية المريضة بالعدمية فكان علاجه إرادة القوة والإنسان الأعلى والعود الأبدي في فلسفته الثائرة الهدامة للقيم التقليدية وحتى الحديثة لبناء قيم جديدة لا تعرف السكون تتميز بالحيوية.

إن هجوم نيتشه على الحقيقة جعله خارج الفلسفة التقليدية رافضا سكون بارمينيدس ثائرا على منطق أرسطو هداما لعقل **كانط**، كما أن "نقد نيتشه للحقيقة هو

حركة تنزع التأكيدات الأساسية التي يتناولها الفكر وتبرز أنها صنوف من التزوير وأشياء إنسانية وإنسانية جدا[1] ، فيمكن أن نقول عنه فيلسوف اللاحقيقة.

رغم انطواء النقد الذي وجهه نيتشه للحقيقة على عناصر أصيلة إلا انه ينطوي على عناصر كثيرة تبدو لا واقعية، فقوله بان الأدوات المعرفية لا تقدم لنا معارف عن الواقع كما هو، فهذا ميل مثالي، لان كل محاولة فلسفية تسعى لتقديم معارف عن الواقع بطريقة مخالفة لما تقدمه لنا الوسائل المعرفية البشرية فلا يجب أن يعتمد عليها فلا وجود لوسائل أخرى للمعرفة تعرفنا على الواقع كما هو[2].

لكن إذا كان معيار الحقيقة إرادة القوة، بمعنى كل ما ينمي الحياة ويقويها فهو حقيقي، فان هذا يفسح المجال لصراع الإرادات المتعصبة التي لا تؤمن **بالمنظورية والتراتبية**، كما أن مبدأ "إرادة القوة " يدعو إلى الحرب كوسيلة للحفاظ على نمط معين من الحياة ولتقويتها، لان المنافع مطالب واشباعات من الصعب الاتفاق حولها فما ينفعني قد يضر الآخرين.

في عالمنا العربي أيضا أصبح الدين كوسيلة لبلوغ السلطة فيستخدم سياسيا اقتصاديا فكريا حسب إرادة السلطة فيدعي انه يمتلك الحقيقة المطلقة ويكذب الآخر ويتهمه أو يقصيه ويهمشه، وهذا ما يفعله الآخر أيضا من دون احترام المسافات ولا الاختلافات وهذا ناتج عن العصبية والتطرف، وواقعيا حرية الرأي والتعبير ما هي إلا شعارات في يد أصحاب السلطة للتحكم في العامة، وهكذا تصبح الدولة هي المشرع للحقيقة من خلال وسائلها منها الأئمة وتعودنا على انتقاد الأشخاص في شخصيتهم لا في فكرهم وأساليب عملهم.

[1] – مفرج جمال، نيتشه الفيلسوف الثائر ، المرجع السابق، ص57.

[2] – المرجع نفسه، ص 59

إذا كانت المنفعة معيار الحقيقة فان الحياة ديمومة وصيرورة فهي في تغير مستمر كالتيار المتدفق في جريان دائم لذا فان النفع يتغير بتغير الحياة ويستمر باستمرارها ليس للحفاظ عليها فقط وإنما لنموها وارتقائها وهذا ما يجعل الحقيقة نسبية متغيرة بتغير ظروف الحياة ومستلزماتها وتطور العلم وحقائقه.

نيتشه كان قسيسا وكان متشائما ماذا قدمت له الثقافة الألمانية المثالية حطمته أضعفته أفقدته بصيرته اتجاه الحقيقة بل كانت كل المشاعر والقيم التي امن بها من قبل تضر بصحته، وبما انه كان مريضا كان يتفادى القيم التي تزيده استياء باحثا عن قيم الحيوية والنشاط ليتجاوز ألمه، فتفطن لذلك وقلب كل القيم باحثا عن قيم جديدة تعزز صحته وتقوي إرادته ليتشبث بالحياة ويشعر بغريزة الحياة والقوة ليتجاوز مرضه الجسدي وهذا ما طبقه على الثقافة الألمانية المثالية المريضة بالعدمية فكان علاجه إرادة القوة والإنسان الأعلى والعود الأبدي في فلسفته الثائرة الهدامة للقيم التقليدية وحتى الحديثة لبناء قيم جديدة لا تعرف السكون تتميز بالحيوية.

إن هجوم نيتشه على الحقيقة جعله خارج الفلسفة التقليدية رافضا سكون بارمينيدس ثائرا على منطق أرسطو هداما لعقل **كانط،** كما أن "نقد نيتشه للحقيقة هو حركة تنزع التأكيدات الأساسية التي يتناولها الفكر وتبرز أنها صنوف من التزوير وأشياء إنسانية وإنسانية جدا[1]، فيمكن أن نقول عنه فيلسوف اللاحقيقة.

رغم انطواء النقد الذي وجهه نيتشه للحقيقة على عناصر أصيلة إلا انه ينطوي على عناصر كثيرة تبدو لا واقعية، فقوله بان الأدوات المعرفية لا تقدم لنا معارف عن الواقع كما هو، فهذا ميل مثالي، لان كل محاولة فلسفية تسعى لتقديم معارف عن

[1] – مفرج جمال، نيتشه الفيلسوف الثائر ، المرجع السابق، ص57.

الواقع بطريقة مخالفة لما تقدمه لنا الوسائل المعرفية البشرية فلا يجب أن يعتمد عليها فلا وجود لوسائل أخرى للمعرفة تعرفنا على الواقع كما هو[1].

لكن إذا كان معيار الحقيقة إرادة القوة، بمعنى كل ما ينمي الحياة ويقويها فهو حقيقي، فان هذا يفسح المجال لصراع الإرادات المتعصبة التي لا تؤمن **بالمنظورية والتراتبية**، كما أن مبدأ إرادة القوة يدعو إلى الحرب كوسيلة للحفاظ على نمط معين من الحياة ولتقويتها، لان المنافع مطالب واشباعات من الصعب الاتفاق حولها فما ينفعني قد يضر الآخرين.

في عالمنا العربي أيضا أصبح الدين كوسيلة لبلوغ السلطة فيستخدم سياسيا اقتصاديا فكريا حسب إرادة السلطة فيدعي انه يمتلك الحقيقة المطلقة ويكذب الآخر ويتهمه أو يقصيه ويهمشه، وهذا ما يفعله الآخر أيضا من دون احترام المسافات ولا الاختلافات وهذا ناتج عن العصبية والتطرف، وواقعيا حرية الرأي والتعبير ما هي إلا شعارات في يد أصحاب السلطة للتحكم في العامة، وهكذا تصبح الدولة هي المشرع للحقيقة من خلال وسائلها منها الأئمة وتعودنا على انتقاد الأشخاص في شخصيتهم لا في فكرهم وأساليب عملهم.

الاخلاق:

اهتم الفلاسفة على مر العصور بمبحث القيم سواء في المنطق أوفي الجمال أو في الأخلاق وهذا الأخير ازداد الاهتمام به أكثر في الفلسفة الحديثة والمعاصرة؛ وذلك راجع إلى عدم تناسب التقدم بين العلم والأخلاق، فقد شهد العالم تطورا علميا هائلا في حين انهارت قيمه الأخلاقية وانتشرت الشرور بشكل كبير جدا؛ هذا ما دفع إلى

[1] – مفرج جمال، نيتشه الفيلسوف الثائر ، المرجع السابق ، ص 137.

إعادة النظر والتمحيص في المشكلة الأخلاقية الكبرى المتمحورة في الخير والشر والتي طالما حاول الفلاسفة حلها حسب الاتجاهات الفلسفية المتعددة فكان بطبيعة الحال تعدد الحلول مما يجعل البحث مستمرا يعاد طرحه بصيغ مختلفة .

ما شد انتباهنا هو اهتمام كل من الفلاسفة الغربيين المحدثين والمعاصرين،بداية مع توماس هوبز ثم شبنهاور وأخيرا نيتشه، فقد عالج هوبز في كتابه التنين الطبيعة البشرية وأرجعها إلى الأنانية وهكذا قوض المذهب الأخلاقي الأرسطي، أما فيلسوف التشاؤم شبنهاور فتطرق إلى المشكلة في شكل نسقي مؤكدا على الرحمة، أما نيتشه من خلال تأسيسه للمنهج الجينيالوجي وتقويضه للميتافيزيقا التقليدية أرجع أصل القيم الأخلاقية إلى الشر، فكيف توصل إلى ذلك من خلال الممارسة الجينيالوجية؟.

تعد فلسفة نيتشه هي إحدى المحاولات التي تنشد الوصول إلى إجابات محددة عن هذه الأسئلة المتمحورة حول الخير والشر إلا أنها إجابات مختلفة ومتميزة عن تلك التي قدمها الفلاسفة السابقون عليه[1] ، فكانت محاولته تحديد القيمة الأخلاقية من حيث تجليها في التاريخ الإنساني في حلة الخير والشر، وذلك بتقويض القيم الأخلاقية السابقة من خلال المنهج الجينيالوجي وفق التحليل والتفكيك والنقد من اجل الرجوع إلى الأصل الأول والغاية من وراء ذلك هو تقويم القيم لأنها مجرد لعبة أقنعة.

يستهدف نيتشه القضاء على الأخلاق التقليدية وبالأخص المسيحية مبينا اصل نشأتها فقد كان اهتمامه منصبا على مشكلة الخير والشر منذ صباه، كما فصل بين الأحكام اللاهوتية والخلقية وحصر البحث عن أصل الشر في المجال الأخلاقي وتجاوز الجانب الميتافيزيقي، وكانت غايته من وراء هذا البحث هو تحديد قيمة الأخلاق وإعادة تقويمها وتوصل إلى أن الأخلاق السائدة وبالأخص قيمة الغريزة الشفقة

[1]–ابراهيم يسرى، فلسفة الاخلاق فريديريك نيتشه، دار التنوير، بيروت، د ط، 2007، ص07.

التي قال بها شبنهاور تؤدي إلى إنكار الذات والتضحية بالنفس ومن ثم إلى العدمية من خلال قول لا للحياة وانتشار التشاؤم وانبعاث بوذية جديدة من خلال مغالاة فلاسفة العصر الحديث في إعلاء قيمة الشفقة، وعلى الأخص كل من : "اسبينوزا" و"كانط" [1] وعلى هذا الأساس سعى إلى تقويم القيم وقلبها من خلال كتابه "ما وراء الخير والشر.

إن المقصود بما وراء الخير والشر لا يعني ما وراء الحسن و الرديء "فما يعنيه إنما يرد مرارا في كتاب هكذا تكلم زرادشت: "أنتم (أنقى) من أن تتلوثوا بهذه الألفاظ :الانتقام العقاب الثواب وأن يتحرر الإنسان من الانتقام هذا في نظري هو الطريق إلى أسمى الآمال"[2].

سؤال وضعه نيتشه وهو: **ماذا يمكن أن يقال عن الأخلاق عامة؟**

وجه نيتشه نقدا لاذعا للمسيحية فهي في نظره تعبّر عن إرادة القوة التي يضمرها الضعفاء الذين يدفعهم حقدهم إلى كل ما هو "عداوة متغللة لكل امتياز جثماني وعقلي كما يميل بهم نحو كل ما هو دني ونحو تسوية الأعلى بالأدنى ونحو كراهية الجنس وتحقير الجسم والعقل لكي يرفعوا من شان الروح نحو ازدراء هذه الدنيا بأسرها من اجل عالم وهمي أخر"[3]، كما تهكّم نيتشه على الفلاسفة بأنهم يعرفون منذ أمد بعيد ما هو خير وشر للإنسان إذ يقول في كتابه "**ما وراء الخير والشر**":" في جدّة متشددة تثير الضحك أراد فلاسفتنا جميعا أن يضعوا "أساسا عقليا" للأخلاق واعتقد كل فيلسوف

[1]– ا ابراهيم يسرى، فلسفة الاخلاق فريديريك نيتشه ، مرجع سابق ، ص184.

[2]– كامل فؤاد، الموسوعة الفلسفية المختصرة، مراجعة وإشراف : زكي نجيب محمود، مكتبة الانجلو مصرية القاهرة، دط، دس، ص 378.

[3]– المرجع نفسه، ص 376.

حتى الآن أنه وضع مثل هذا الأساس أما الأخلاق نفسها فكانت مقبولة قبول "التسليم" منهم جميعا[1].

لقد رفض نيتشه الأخلاق الأفلاطونية والملسيحية، ففي كتابه "أفول الأصنام" إذ اعتبر الأخلاق منذ أفلاطون ذات نزعة مرضية كونها قائمة على العقل وتحارب الغريزة وبهذا كانت سوء فهم، ابيقور المضحك فيلسوف حاقد والأخلاق الرواقية قائمة على مبدأ مخادع "عش وفقا للطبيعة" أي غير مبال فكيف يمكن ذلك؟. أما الأخلاق الكانطية القائمة على فكرة الواجب، فهي "التنين الذي سيقاتله الإنسان لكي يتحرر من أغلاله ويستطيع أن يخلق قيما جديدة"[2]، كما أنها أخلاق ساذجة تتعارض مع الواقع.

كما قدم لنا دراسة سيكولوجية عن الضمير الخلقي ليبين خطر هذا المفهوم "فالضمير في رأيه ليس قوة فطرية مركوزة في الإنسان، تميز بين الخير والشر وتدفعه إلى فعل الخير وتجنب الشر كما يعتقد بتلر، كذلك فانه ليس حاسة خلقية تختلف عن سائر الحواس الظاهرة تبعث فيه إحساسا بالارتياح عند فعل الخير وإحساسا بعدم الارتياح عند فعل الشر كما يعتقد شافتسبري" [3] ، والضمير أيضا ليس صوت الإله في الإنسان كما يعتقد رجال الدين ولكنه غريزة القسوة التي تتجه إلى تفريغ نفسها في داخل الإنسان بعد العجز عن تفريغها في الخارج هذه الغريزة موجودة عند العبيد،"ونيتشه هنا يحاول مثل كيركغارد أن يعيد إلى الانفعالات والعواطف احترامها الفلسفي على حد تعبير رسل، وهذا يتماشى مع تفكير الشعراء ويتعارض مع الاتجاه الخلقي الذي يربط الخير بالمعرفة والشر بالجهل"[4].

[1]– كامل فؤاد، الموسوعة الفلسفية المختصرة ، مرجع سابق ص 377

[2]– ابراهيم يسرى، فلسفة الأخلاق فريديريك نيتشه، المرجع السابق، ص 193.

[3]– المرجع نفسه، ص214.213.

[4]– المرجع نفسه، ص 218.

لقد أطلق أفلاطون على الفلاسفة الذين فصلوا القوانين عن الطبيعة ومجدوا القوة اسم الفلاسفة اللاأخلاقيين، فقد شرح مذهبهم في كتابه "جورجياس" وبالتحديد السفسطائيين، أما نيتشه فقد وضعها في قالب عصري منذ نصف قرن وأكسبها الطابع الألماني في بلاغة لاذعة مؤكدا أن الطبيعة وضعت قانونا هو قانون الأقوى، فالقوة هي المسيطرة على كل شيء[1]، فالأخلاق اختراع من صنع الضعفاء لحماية أنفسهم من الأقوياء، لذلك يدعو نيتشه إلى قلب القيم وتحطيمها وترك العنان للطبيعة المطلقة وهكذا تصبح القوانين الأخلاقية ابتكارا يجب احتقارها وهذا لا يتم إلا بإرادة القوة.

يعتبر نيتشه هذا العصر أكثر مرضا، "وهو عصر لا ينقطع عن التألم من الشرور والتشوهات التي أحدثتها له النزعات الفكرية التي تروم تكوين معرفة بالحياة"[2] وأكثر الأكاذيب هي الحياة لأنها لا تساوي شيئا، وهنا ينتقد شبنهاور فيلسوف الحياة "فليس صحيحا أن الكائنات تتوق إلى البقاء وأن الحياة إرادة حياة كما يقول شوبنهاور وإنما الحياة تتوق إلى الازدهار والانتشار والغزو فهي إرادة قوة وليست إرادة حياة"[3] .

إن الحياة مواجهة دائمة وصراع ضد كل أشكال الأكاذيب والخداع والزيف والوهم التي أنتجتها الإنسانية وتراكمت عبر تاريخها، حيث تختفي هذه الأخيرة وراء الخير[4]، وهكذا كانت الأخلاق من أفلاطون حتى هيغل بناء تراكميا مثاليا له نهاية أكيدة ألا وهي العدمية، "الأخلاق منذ أفلاطون مجرد إجماع ضد الحياة لطرحها مسألة الحقيقة واستبعادها الخطأ والحل تقويضها"[5].

[1]–أندري كرسون، المشكلة الأخلاقية والفلاسفة ، ترجمة:عبد الحليم محمود، دار المكتبة الحديثة، القاهرة ط1946،2 ص31.

[2]–نقلا:عبد اللطيف نبيل، فلسفة القيم نماذج نيتشوية، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ط2010،1، ص 20.

[3]–الحنفي عبد المنعم، الموسوعة الفلسفية، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، د ط، 1992، ص490.

[4]–نقلا:عبد اللطيف نبيل، فلسفة القيم نماذج نيتشوية،المرجع السابق، ص 22.

[5]– المرجع نفسه، ص113.

عندما قال سقراط وهو يموت: "أن تحيى هو أن تكون دائما مريضا"[1]، فقد أحط من قيمة الحياة، التي جسدها نيتشه في الصحة الجيدة ورفض كل أشكال المرض والعدمية، فالحياة هي القوة ونزوع نحو السيطرة التي تستلزم العنف والاستغلال والهدم والقوة ليست في تنازع الأفراد غريزيا من اجل البقاء وإنما هدفها السيادة، والجدير بالذكر أن توماس هوبز يجعل من القوة غريزة تتمثل الأنانية وهدفها حفظ البقاء، لكن الإنسان بإتباع العقل اختار الابتعاد عن القوة لأنها تؤدي إلى الصراع – حرب الكل ضد الكل– فتعاقد الناس واضعين قوانين أخلاقية لكن بالنسبة لنيتشه فان الأخلاق مجرد قناع يختفي وراءه الضعفاء، "فالإنسان يضع قيما ومعنى، وهنا يفاضل ويوازن ويعطي لبعض الأشياء قيمة أكبر مما يعطي لأشياء أخرى"[2].

وفي هذا الصدد "أشار نيتشه إلى إن الغريزة التي هي فيض الحياة تناقض الأنانية التي هي واقع الذكاء الحسابي"[3] ، كما اعتبر"علماء النفس والباحثين الأخلاقيين من الانجليز يخطئون في دعواهم القائلة بأن الذين يفيدون من الأعمال غير الأنانية، هم الذين يمتدحون هذه الأعمال ويعتبرونها صالحة"[4] .

إذا كانت القيم الأخلاقية منذ أفلاطون حتى شبنهاور مرفوضة كونها تؤول إلى العدمية؛ فما هو المنهج المناسب للبحث عن أصل هذه القيم، وكيف يمكن تفسير أصل مفهومي الخير والشر؟.

يجيب نيتشه في كتابه "اصل نشأة الأخلاق" قائلا:"إن مرشدي إلى الطريق الصحيح هو السؤال التالي: ما هو المعنى الأصلي للأسماء الدالة على ما هو جيد في

[1]– نقلا:عبد اللطيف نبيل، فلسفة القيم نماذج نيتشوية، مرجع لسابق ، ص23.

[2]– مرجع نفسه، ص 27.

[3]– إيلي ألفا روني، موسوعة أعلام الفلسفة ج2،دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1992 ص551.

[4]–العوا عادل، القيمة الأخلاقية، الشركة العربية للصحافة والطباعة والنشر، دمشق، د ط، 1965، ص178.

اللغات المختلفة لقد وجدت إنها جميعا تدل على نفس المفهوم ففي كل مكان يكون المفهوم الاجتماعي لمعنى نبيل ارستقراطي هو المفهوم الأساسي الذي تطور منه كلمة جيد بمعنى صاحب روح ارستقراطية ونبيل وصاحب روح ممتازة من طبقة عالية وهو تطور يجري موازيا لتطور آخر تحول فيه معنى عامي ووضيع في النهاية إلى المعنى الذي تدل عليه كلمة رديء.

"عاد نيتشه بعد ذلك إلى اهتماماته الفيلولوجية "فقه اللغة" فأكد وجود وحدة تقع في ما وراء الخير والشر وتجمع بين الشرير والخيّر المسالم وتتجسد في إرادة القوة وهي الفضيلة في أخلاق الأسياد التي يعارض أخلاق العبيد"[1] ، لأن الضعفاء أحلوا الحيلة محل القوة والاستياء المتكتم مكان القدرة الثائرة، وبالاعتماد على فقه اللغة نجد أن معنى كلمة الغير صادرة عن تطور مماثل: النبالة ،التميز، هي الفكرة الأساسية التي تشتق منها فكرة الخير أما معاني الشعبي العامي السافل تتحول فينتج عنها مفهوم الشر.

من خلال الممارسة الجينيالوجية تتبع نيتشه لفظ طيب في اللغات المتداولة وجده دالا على **النبل** وسمو الروح والارستقراطية التي تسيطر على ما هو عامي ومشترك وشرير أي الشعب، فكيف اكتسب الشعب صفة الطيب وكيف حدث الانتقال؟.

واجه العبيد القيم الارستقراطية وسعوا إلى الانتقام منها بخلقهم قيم الضعفاء والانحطاط السائدة الآن ، إذا كانت أخلاق العبيد ردة فعل فان الأخلاق تتأسس على الأخر وهو بالضرورة "العدو الشرير"، وبما أن العدو هو السادة المتمتعين بالحياة والقوة والذين يميزون بين الخير والشر فان العبيد لجئوا إلى خلق مفاهيم جديدة من قبيل الخير في ذاته و الشر في ذاته وهكذا حدث انفصال الأخلاق عن الحياة بل

[1]– إيلي ألفا روني، موسوعة أعلام الفلسفة، ج2، مرجع سابق، ص552.

الانقلاب ضدها حيث يعد العبيد ما هو طيب وما نحس بأنه اللذة شرا ولا سعادة في العالم ما دام الأسياد هم المسيطرون[1] .

إن أخلاق العبيد تعد الشرير موضوعا للخشية والحيطة أما أخلاق السادة ترى العكس فما يتوجب خشيته هو الطيب، ذلك أن أخلاق العبيد منفعية قائمة على قاعدة العقاب، حيث "يمكننا البحث عن أصل التمييز الشهير بين طيب وشرير فبالنسبة إلى الإحساس العادي يمكننا اعتبار الشرير شديد الارتباط بكل ما هو قوة وخطر ومجازفة بالإضافة إلى انه يمثل هو نفسه تهديدا متواصلا لكل ما يخالفه وهو يعبر كذلك عن اندفاع قوي يجعله يستهزأ من كل سلوك احتقاري اتجاهه"[2]، حينها يتحول الطيب إلى شرير.

أخلاق السادة خلاقة قائمة على ذاتها لا على الأخر، "وان معنى "الطيب" ينشأ من هذا الموقف التميزي، إذ أن الأسياد يعتبرون أنفسهم " الطيبين" ويرون أن البقية "أشرار" وأكثر من ذلك فان كل ما يزيد من قوتهم ويثري حياتهم هو الطيب بإطلاق و"الشرير"هو من يسعى لإضعاف هذه الحياة والحط من قيمتها"[3].

"وان الحكم على قيمتي الخير والشر هو مجرد **تأويل ذاتي** سعى نيتشه إلى تتبع صيرورته عن البحث الجينيالوجي من خلال هذا البحث يؤكد نيتشه إن الخير والشر لا يمثلان قيمتين في حد ذاتهما ولكنهما مجرد خلاصة لتأويلات قديمة وسابقة ورثناها عن التراث الروحي للإنسانية"[4] ، ومنه فان البحث في الأحكام المتعلقة " بالطيب

[1]- عبد اللطيف نبيل، فلسفة القيم نماذج نيتشوية ، مرجع سابق، ص112.

[2]- المرجع نفسه ، ص107-108

[3]- عبد اللطيف نبيل، فلسفة القيم نماذج نيتشوية ،مرجع سابق ، ص 119.

[4]-المرجع نفسه ، ص111.

والشرير"يضعنا أمام مبحث أشمل يتعلق بقيمة كل تقويم ينبع من الذات ومن النظر في قيمة ليقيم نفسها.

الواقع يثبت أن الأحكام الأخلاقية مستمدة من مواقفنا المنفعية من خلال تجسيد بعض أشكال السيطرة الإنسانية على العالم، فالأسياد مصدر التقويم والعبيد أي العامة يخضعون إلى الأحكام التي يطلقها الأسياد، "فالعبد لا يستطيع أن يحدد القيم بنفسه بمعزل عن السيد "الارستقراطي" إذ أن خلق القيم هو حق لهذا السيد دون سواه"[1] الأحكام لا يجب أن تكون من خارج الذات وإنما من الذات حسب الألم واللذة التي تثيرها الأشياء فينا، فالذات مصدر التشريع الأخلاقي خلق قيم جديدة للارتقاء من خلال الثقة المطلقة التي تتحول إلى أنانية خلاقة من خلالها يصبح الإنسان مبدعا.

"لقد اعتبرنا طويلا أن قيمة القيم هي بمثابة المعطى الواقعي والحقيقي الذي يبقى بمنأى عن كل مساءلة ودأبنا على منح الإنسان الخيّر"قيمة عليا بالمقارنة مع الإنسان الشرير ولكن ما قولنا لو كان العكس صحيحا؟"[2].

إن الإنسان **خالق** القيم بالتحرر من الغيرية والشعور بالتبعية والضعف وقدرا من القوة يمكن أن تكون قيمة الأشياء كاذبة خاطئة، "إن قيمتي الخير والشر يستمدان أهميتهما في الأخلاق السائدة لا من الفعل والإرادة بل من الامتناع عن الفعل لا من الإثبات بل من النفي"[3] فأصبحت القيم الأخلاقية سلبية نافية، ومنه فان هاتان القيمتان تخفيان العدمية من خلال الحقد على الحياة وعلى كل آلية فاعلة مثبتة فأصبح: الضعيف، والفقير، والعبيد طيبا،أما القوي خبيثا وماكرا[4]؛ إذا من وجهة نظر أخلاق

[1]– عبد اللطيف نبيل، فلسفة القيم نماذج نيتشوية ،مرجع سابق ص32.

[2]– مرجع نفسه ، ص36.

[3]– المرجع نفسه، ص 43.

[4]– المرجع نفسه، ص 43.

العبيد المنحطة الضعيفة فان الخطأ والسيطرة والعنف يعد شرا؛ إلا أن هذا التقويم الأخلاقي هو نفي للحياة لان قيم العبيد هي قيم رد فعل سلبية نافية تقول لا للسيد؛ وهكذا فان أخلاق العبيد منفعية من خلال الحفاظ على ذاته والبقاء بنفي قيم السيد[1].

إن هذه القيم غير فاعلة سلبية عدمية قيم العدمي قيم الضعف قيم العبيد الثائرين على السادة الارستقراطيين؛ ولما كانوا ضعافا فإنهم يخلقون قيما جديدة مخالفة يحولون بها الشر إلى خير والخير إلى الشر، فالرجل الخيّر لديهم لم يعد القوي المحارب الشجاع المغامر بل أصبح ذلك المسالم الوديع المتواضع هو ذلك الذي يزدري الحياة ويحتقرها "[2]. إن من يسعى إلى احتقار الغرائز الأكثر قوة وحيوية والمرتبطة ارتباطا ضروريا بالحياة مثلما يفعل العبيد هو في الحقيقة يعترف ضمنيا بقيم الانحطاط المتمثلة أساسا في القيمة في ذاتها والغيرية والتسامح وحب الغير"[3].

إن سبب الانحطاط عند نيتشه هو انتصار القيم الأخلاقية الصادرة عن العبيد على حساب أخلاق السادة فيتحول العجز إلى فضيلة والقوة إلى شر، لهذا عدّ نيتشه شبنها ور عدو الحياة لتأكيده على قيمة الشفقة واعتبارها فضيلة عليا مثله مثل كانط." إن أصحاب النزعة التشاؤمية يرددون دائما أن مجموع الشرور تتجاوز مجموع الأفعال الخيّرة ومن هنا كان من الأحسن أن لا يوجد العالم حتى لا يسبب إلا مضاعفة للكائنات الحية"[4].

يطرح نيتشه سؤالا على ما يذكره هو بنفسه ثم يجيب:" ما هو الخير؟هو الذي ينمي حس السلطة ما هو الشر؟ هو ما يولد من الضعف.ما هي السعادة؟ هي إحساس

[1]– عبد اللطيف نبيل، فلسفة القيم نماذج نيتشوية ، مرجع سابق ، ص114.

[2]– المرجع نفسه ، ص 44.

[3]– المرجع سابق ، ص48.

[4]– المرجع نفسه، ص46

ازدياد السلطة والانتصار على العوائق لا القناعة بل المزيد من السلطة ليس السلام بل الحرب لا الفضيلة بل الذكاء .العاجزون و المرضى ينبغي إعدامهم، وهذا هو الأصل والقاعدة الأولى لحقوق الإنسان فما هو الأكثر ضررا من الفساد؟ ...هو العطف على المرضى أي المسيحية" [1] ، فالعدمية ناتجة عن البناء التراكمي الذي يدفع إلى العجز خاصة إذا كانت القيم الأخلاقية إلزامية إما من المجتمع أو الدين، والإنسان من خلال حقده على الأخر بدأ يشرع القوانين الأخلاقية لحماية ذاته من الأقوياء كونه ضعيفا، وعليه "فالأصل ليس هو توكيد الفرد لذاته بل الأصل هو الحقد؛ فالشر هو الفكرة الرئيسية عند العبد ومنه يشتق بعدئذ صورة لاحقة ومثالا معارضا ألا وهو الشخص الطيب – أي نفسه– "[2].

إذا كان مصدر الشر هو الحقد الناتج عن العبيد اتجاه الأسياد؛ فان "الخير يحدده كل ما يعلو في الإنسان بشعور القوة و إرادة القوة، والقوة نفسها في حين أن الشر يتمثل في كل ما يصدر عن الضعف وتبعا لذلك فالسعادة تعني أن القوة تنمو و تزيد وبأن مقاومة ما قد قضي عليها"[3].

ولا يعتقد نيتشه أن كل إنسان إما أن يكون بطبيعته عبدا وإما أن يكون سيدا وإنما ما يدعيه هو بالأحرى أن القوانين الأخلاقية قد نشأت إما بين جماعة حاكمة يكون شعورها باختلافها عن الجماعة المحكومة مصحوبا بالسرور، وإما بين الجماعة المحكومة التي تتألف من العبيد ويضرب النمط الأول من الأخلاق بجذوره في تأكيد الذات والنمط النبيل يسمي نفسه خيرا ويصف بالشر غير النبلاء ويضيف نيتشه

[1]– نقلا: موسى عبد الله ، المدينة والأخلاق في خطاب الفارابي ، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر، دط،2013، ص 30.

[2]– كامل فؤاد، الموسوعة الفلسفية المختصرة، المرجع السابق، ص 378.

[3]– نقلا: قادم معمر، إشكالية الانطولوجيا والقيمة في الفلسفة الغربية المعاصرة نيتشه نموذجا، [إشراف الدكتور بوشيبة محمد]،2014،2013، ص129.

مؤكدا"إن للتعارض بين الخير والشر أصلا غير هذا وهو لا يمجد القسوة الوحشية "فالرجل النبيل يساعد التعساء بدوره ولكن ذلك لا يكون بدافع الشفقة وإنما بفعل دافع تولده القوة الفائضة "[1]، والشخص القوي النبيل أسمى من الحقد لان إرادة القوة تتطلب استخدام مفهوم التسامي ومعناه انتصار الفرد على نفسه وإثرائها بالعلم والفلسفة والسيطرة على الطبيعة والتعبير عن الانتصارات بالفن، "فالإنسان القوي يتدنى عن الانتقام ويسمو بنفسه عن الدنايا وهو القادر على أن يحترم عدوه ويحب فيه أخلاقه الرفيعة"[2].

كما أضاف نيتشه رؤية جديدة ومتميزة حول الجسد، وأثار ثورة كوبرنيكية مقارنة مع الثورة الكانطية أحلت محل الكوجيتو المتعالي في الوعي المحدد للذاتية الجسدية ويشيد نيتشه بدور الجسد الذي اعتبر قديما سجنا للنفس يتوجب التحرر منه، "فالجسد عقل كبير وحدة متكثرة حالة من السلم والحرب، قطيع وراعية، وهذا بالفعل العقل الصغير الذي تدعوه فكرك يا أخي ليس إلا أداة جسدك أداة صغيرة جدا ولعبة في عقلك الكبير"[3]، وعلى هذا الأساس يمكن أن نغزو الفكر إلى الجسد؛ لان الجسد يفكر والفكر الحيوي غير الواعي هو متكامل أكثر من الفكر الواعي المتعلق بالعقل، وهكذا فان "المنحط هو الشخصية التي تكون غرائزها ضعيفة وفوضوية بسبب ضعف الجهاز المنظم الذي يؤمن وحدة الذات بطريقة تكون مجبرة للاعتماد على وعيها وعقلها وهي تصنع النظام الأخلاقي الزهدي كبديل لذكاء الغرائز المتكيف"، والمنحط أعمى الغريزة يجرب تعويض الأمور الواقعية بتضخيم منطقي ووعي الواجب الصافي، ففكرة الواجب الخالص أمر مثالي متعالي عن الواقع.

---

[1]– كامل فؤاد، الموسوعة الفلسفية المختصرة، مرجع سابق، ص 377.

[2]– حنفي عبد المنعم، الموسوعة الفلسفية، مرجع سابق ، ص490

[3]–نقلا:غرانييه جان، نيتشه، ترجمة: علي بوملحم، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،بيروت، ط1 2008، ص104.

خلاصة فان الإنسان لن يبلغ الحقيقة لأنها تتخفى عنه، وهذا الاختفاء" ضروري ضرورة الإنسان الذي يفكك الموضوعات، فلولا هذا الغموض و التواري لما سمح باستمرار فعالية الفكر وحركية "[1] ، ليكشف الجديد الذي يسعى التفكيك إليه من خلال استذكار الاختلاف المنسي.

إن الجينيالوجيا تحت عنوان الأصل ليس صفة أساسية ثابتة، بل هي ممارسة التأويل والدليل على ذلك تطور هذا المفهوم في فكر نيتشه ، من "**إنسان مفرط في إنسانيته**" فكان عبارة عن حسن تاريخي ثم في كتابه "جينيالوجيا الأخلاق" أصبح عبارة عن تفريق بين الغاية والأصل، وأخيرا في "إرادة القوة" يظهر في صورة تأويل، كما أن جميع الأفكار والحقائق والقيم آلية إلى التغير و التبدل فالتاريخ" تناسل خصب ميلاد جديد لانقشاعات الحقيقة المؤقتة للتأويلات لأجل عدم التوقف عن فهم العالم لأنه لغز غامض محجوب عن التمظهر"[2] ، هذه فقط الحقيقة المطلقة الجديدة؛ لذا يجب على الفيلسوف أن يبحث عن الحقيقة المتخفية وراء الأقنعة من خلال المنهج الجينيالوجي لكن هذه العملية تبقى مستمرة، وبما أن الإنسان هو صانع القيم فإن هذه الأخيرة تبقى متغيرة باستمرار .

ويمكن أن نستدل بموقف الفيلسوف "**ألبير كامو**" على قيمة المنهج الجينيالوجي وذلك بقوله: "مع نيتشه تغدو العدمية نبوية، وفيه تصير لأول مرة واعية، وقد تفحصها وكأنها واقعة سريرية، وقد شخص في نفسه ولدى الآخرين عجزا عن الاعتقاد وزوال الأساس الأول لكل إيمان أي الاعتقاد بالحياة وبدلا من الشك المنهجي، مارس النفي

[1]– قواسمي مراد، في معنى التاريخ عند نيتشه سؤال الاصل ومشروع التأويل ، ابن النديم للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط1، 2010، ص 42.

[2]– المرجع نفسه ، ص 55.

المنهجي والتدمير النظامي لكل ما يحجب العدمية عن نفسها. "ومن يشاء أن يكون خالقا سواء أفي الخير أم في الشر، فعليه أولا أن يكون هداما وأن يحطم القيم"[1].

[1]– طرابشي جورج، معجم الفلاسفة، دار الطليعة للنشر والتوزيع، بيروت، ط3، 2006، ص680.

المبحث الثانـي:

حضور نزعة السفسطائيين الانسانية والنقدية في فلسفة نيتشه

خصص نيتشه كتابا للبحث في مشكلة أصل الفلسفة وبالاخص عند اليونان هو "الفلسفة في العصر الماساوي الاغريق"(1873) ، كما كتب بأسلوب الشذرات ابتداءً من كتابه "مولد التراجيديا "(1872) الى كتابه"هذا الانسان"(1888) [1] ، فلمعرفة موقف نيتشه حول أصل الفلسفة يقتصر منا معرفة الإطار الإشكالي لكتابه الذي يعالج قضية الفلسفة الاغريقية وعلاقتها بالفكر الشرقي إذ لم ينكر العلاقة بينهما ، يقول نيتشه "إن لدى الشعب الاغريقي حكماء ولدى شعوب أخرى قديسين، فالقديس يطالب بالايمان اما الحكيم فيطالب بالحقيقة [2] ، إذ لم يبدع الاغريق اشكاله بنفسه، "بل يستعير من الاجنبي ثم يعيد تشكيلها ليعطيها اجمل مظهر." [3] اي ان اذا كان الاغريق قد اقتبس من الفلسفات الشرقية فقد اعادها وجددها وأعطاها أجمل منظر .

هذا ما نجده في كتاباته من خلال مراحل فلسفته حيث بدأ باشادتهم وتبجيلهم وتعظيمهم ، من اولى فقراته وهذا كفاية لنعلم انه نموذجه و قد أولاه الكثير من دراساته حيث يقول "لقد ظل تاريخ الاغريق يكتب بطريقة متفائلة الى الآن" [4] ، يمتاز الاغريق بخصائص ذاتية ساعدته لانتاج فلسفة منها حب الحياة البساطة حرية التفكير والقدرة على النقد الجريء وقبول فكرة التعدد وسبب ذلك تعدد الالهة [5].

إن التيار السائد منذ هوميروس حتى سفسطائيي القرن الثالث والرابع بعد الميلاد يتصف بجدية التفكير وعمقه ان هؤلاء السفسطائيين " كانوا خارجانيين ، ذوي كلام رنان وحركات ملهمة ويخاطبون بشكل خاص ارواحا خواء متلهفة الى المظاهر والى الجمهورية

[1]– عنايات عبد الكريم ،نيتشه والاغريق ، مطابع الدار العربية للعلوم ، بيروت ، ط1 ، 2010 ، ص41.

[2]–المرجع نفسه ، ص43–44.

[3]–حسين امزيان ،مذكرة لنيل شهادة دكتوراه بعنوان الاغريق واليهود والالمان في فلسفة نيتشه، إشراف الاستاذين: جامعة منتوري،قسنطينة،2007/2006،ص93

[4]–المرجع نفسه ، نفس الصفحة

[5]– عنايات عبد الكريم ،نيتشه والاغريق ، مرجع سابق، ص59

والى الابهار"[1] بمعنى ان الخطاب السفسطائي كان موجها الى شعب يسعى الى تحقيق الجمهورية وينخدع بالمظاهر وينبهر بها.

حينما نتحدث عن تاريخ الاغريق المعروف جدا ، تسمح لنا الحرية بالصمت اتجاه الاخر هكذا يسهل الاغريق على الانسان المعاصر تبليغ الكثير من الاشياء التي يصعب تبليغها والتي تدعو الى التفكير".[2] حيث كان الاغريق هو المبدأ الذي جعل نيتشه ينقد مجتمعه كشف نيتشه عن الحياة كمعيارفي فلسفته وعن الاغريق كأجمل نموذج .

يعد الاغريق استثناء لابتكارهم العلم وتاريخهم هو الاكثر بطولية في تاريخ الفكر الانساني لذلك يجب احيائهم اي يجب اعادة دراستهم والاعتماد عليهم كمرجعية فكرية [3]، من هنا يتضح لنا اعجاب الفيلسوف نيشه بالاغريق حيث يتحدث عنهم بكل افخار ويصف التفلسف في وقت الاغريق بالنضج الفلسفي وهذا ما جعله يخصص لهم مؤلفات وكتب ومن هذا المنطلق سنفتش عن ان كان مجرد اعجاب ام انه كان تاثير جعله يقتبس منهم ويجدده في فلسفته وسنعرض بعض النقاط والتشابه بينهما وبالخاصة الفلسفة السفسطائية .

من خلال هذه الدراسة المتواضعة تبين لنا نقاط التقارب التالية :

تجلت النزعة النقدية عند السوفسطائيين في نقد الاخلاق والدين وبشكل عام كل ما كان سائدا من قبل اعتمادا على الشك المنهجي ، هذه النزعة حاضرة في فلسفة نيتشه النقدية حيث قام بنفد القيم السائدة الدينية الميسيحية الفلسفية العقلية، معتمدا على المنهج الجينيالوجي القائم بذاته على النقد ، اذن لقد كانت انطلاقة كلاهما من النقد او الشك في كل

[1]– نيتشه فريديريك، إنساني مفرط في إنسانيته،ج1، ترجمة: محمد الناجي، مصدر سابق ، ص 73.

[2]– المصدر نفسه، ص 79.

[3]– المصدر نفسه ، ص74

ما كان سائدا، الشك في الدين والنظام الاجتماعي حيث سادت النزعة الانكارية وانتهى اليقين لتحل محلها لغة اللايقين وعوض ما هو مطلق بما هو نسبي [1] .

انتقلت الفلسفة السفسطائية من الاهتمام بالطبيعة الى الانسان وجعله هو المقياس للمعرفة والاخلاق عن طريق الاحساس وعبر منفعته ، حيث قال نيتشه في هذا الصدد "لم يات احترام الاغريق للحياة سوى من فهمهم وتقديرهم للانسان بانه هو معيار الاشياء و ماعدا ذلك كله لعبة " [2] ، هكذا قدسوا الحياة وغرائزها ، وهذا ما نجده عند الفيلسوف نيتشه حيث ربط مصير الكون بمصير الانسان و كذلك حمل العديد من مؤلفاته و كتاباته اسم الانسان وهذا ماجعلت فلسفته توصف بالانسانية فقد جرته دراساته الأولى التي ركزت على الثقافة الاغريقية بشكل اساسي لان يكشف بان الانسان كان الحقيقة وعمق الاشياء حيث جعل الانسان هو صانع القيم باضفائه القيم على الاشياء ومعيار الاخلاق هو القوة ومايحقق القوة في الحياة ومايزيد نموها للارتقاء بها وما يضعفها ويقضي على غرائزها لذلك رأى في المسيحية الشر بعينه ، فلم يصبح اي معيار موضوعي لقياس الحقيقة او لقياس الفضيلة بل اصبحت كلها امورا تعود الى مايراه الانسان الفرد وما يعود اليه اما بالنفع او الضرر وهذا مايلخصه بروتاغورس من خلال مقولته المشهورة "الانسان مقياس الاشياء جميعا"حيث يصبح كل شئ صحيح بالنسبة للشخص المدرك مرجعا ذلك الى احساس الفرد فما يراه حقا يفعله وما يراه خيرا يعمل به .

وسنستدل بنقطة جوهرية في فلسفة نيتشه وهي ادراك الاغريق وفهمهم لارادة القوة حيث اعتبروا "ان الشعور بالقوة أفضل من اي نوع من الفائدة او السمعة الطيبة "[3] ، حيث يتفق اصحاب الحركة السوفسطائية معضمهم في ان الحق للاقوى وان القوانين هي من صنع واختراع الضعفاء لكبح جماح الاقوياءوالسيطرة عليهم حيث ان في نظرهم ليس هناك قانونا

[1]– حمادى حسين صالح، دراسات في الفلسفة اليونانية ج1، مرجع سابق، ص105.

[2]– حسين امزيان، مذكرة لنيل الدكتوراه ،بعنوان الاغريق واليهود والالمان في فلسفة نيتشه ، مرجع سابق ، ص100.

[3]–المرجع نفسه ، ص101.

سوى قانون القوة فاذ بلغ الفرد من القوة مبلغا يستطيع به الخروج عن القانون فله الحق ودون ان يعاقب، فعلى الفرد ان يعيش كما يجب ويهوى معتمدا على قوته وجبروته ليتمتع بقوة وذكاء خاص.

اذن القوة هي الحق والعدل من من منظور سياسي فالقوة تصنع الحق وهذا ما يسمونه بنظرية الحق الاقوى[1] وهذا ما نجده عند نيتشه في نظريته "ارادة القوة " اي ان معيار الحقيقة يقوم في تقوية الشعور بالقوة فمعيار الحقيقة هو النفع حسب ماتحدده ارادة القوة لتحقيق اغراضها المتمثلة في نمو الحياة والسيطرة على الاشياء .

لقد كان اسلوب كلا منهما يتمتع باسوب الاقناع وقوة الحجج ، فحتى اللغة بالنسبة لهم هي سلطة فلا سلطة بدون لغة ولا لغة بدون سلطة اي ان على المتكلم ان يكون يتمتع بلغة قوية والفاظ مقنعة ليتمكن من فرض رايه وفكرته حيث ان السفسطائية لاتهتم بصواب او خطإ الكلام وانما مدى تفوق المخاطب وانتصار فكرته ويتفق كلاهما على ان اللغة عاجزة عن تبليغ كل افكارنا فهي ليست سوى رموز لا تتوصل الى الحقيقة وهي تختلف من مجتمع لاخر ومن هنا نستنتج بان حتى اللغة فعل سلطوي ،وهي غير قادرة على توصيل افكارنا فهي لاتدل على الاشياء كما هي في ذاتها ، وعلى انها اعتباطية تواضعية وحتى اللغة في نظرهم من صنع الاقوياء ،فالاقوياء هم من سمو الاشياء بمسمياتها وتعود على ذلك الضعفاء ونظرا لضعفاء وعجزهم ولحماية انفسهم قلبو اللغة كما قلبو القيم فما كان يسمى خيرا اصبح يسمى شرا ، فاللغة هي مجرد رموز وتمثيلية. "اللغة لاتقول فعلا ما تقوله"[2] بمعنى انها لاتدل على الاشياء في ذاتها فالمعاني قد تكون ناقصة او متعددة لشيء واحد فقد نفهم معنى معين لكن يبقى المعنى الحقيقي متخفيا فالقوى المتصارعة هي المتحكمة في الاشياء لذلك قال نيتشه أن فعل سلطوي.

[1]– نيتشه فريديريك، إنساني مفرط في إنسانيته،ج1، ترجمة: محمد الناجي، مصدر سابق ، ص 79.

[2]– نيتشه فريديريك، الفلسفة في العصر المأساوي الاغريقي ، ترجمة: سهيل القش ، مصدر سابق .ص5–6

فالقوانين الاخلاقية مضادة للطبيعة البشرية التي تسعى الى اللذة ،أما القوانين فتكبح الغرائز الحيوية وتفني الحياة وهذا ما نجده عند نيتشه الذي يرى بان الاخلاق المسيحية الاخلاق الفلسفية العقلية هي ايضا ضد الطبيعة البشرية لانها تتميز بالزهد وترفض الحياة. حيث يتفق نيتشه مع السفسطائية في ان الفضائل المتعارف عليها رذائل مقنعة فالغيرية هي انانية مقنعة.

يتفق السفسطائية مع نيتشه، في رفض الميتافيزيقا ، من خلال رفض مناقشة القضايا الدينية حيث أعلنت السفسطائية، القطيعة مع الفكر الديني لأنه وسيلة للسيطرة وهذا ما نجده عند نيتشه من خلال اعلانه موت الاله حيث يرى بان الكهنة يستغلونه كوسيلة وقناع للوصول الى السلطة .

يقول بروتاغورس "بان كل المضاهر الحضارية في العالم من صنع الانسان فالانسان بفكره وعلومه المختلفة وكذلك بعمله هو الذي أبدع اللغة والفنون والاداب والعلوم والاخلاق[1] ، أي أن الانسان هو صانع الحضارات .وهذه الفكرة موجودة عند نيتشه بان الانسان هو صانع الحظارة والقيم .

ان من هذه النقاط سيتبين لنا التشابه بخطوط عريضة :

اولا: المعرفة اساسها الحقوالحق هو القوة .

ثانيا: الغاية اساس الاخلاق اي تحقيق اكبر قدر ممكن من اللذة .

ثالثا: الاخلاق من صنع الضعفاء لحماية انفسهم.

رابعا: النسبية بما انهم جعلو الانسان هو معيار الاشياء جميعا ومقياس لها وان مايراه كل فرد حقا وصحيحا فهو حق بالنسبة له وان مايراه خير له يعمله هنا يبقى كل شيء نسبي المعرفة الاخلاق حتى الفضيلة.

[1]– نيتشه فريديريك، إنساني مفرط في إنسانيته،ج1، ترجمة: محمد الناجي، مصدر سابق ، ص 79.

من كل هذه الاستنتاجات ندرك ان الفيلسوف نيتشه كان معجبا بالاغريق وقد أولاه البعض من دراساته حيث يقول "ان لحظة تفلسف الفلسفة الاغريقية الماقبل سقراطية هي أهم اللحظات الذهبية في تاريخ الفلسفة القديمة تلك التي تميز فيها القول الفلسفي بالكثير من الحرية النظرية والنقد السائد والصراعلا الفعال والقوي المتفوق وضد الافكار المتعبة والخاضعة وليس ضد من يفكر اي التقدير الفرد المفكر[1] ، و نجد قد وصل هذا الاعجاب لدرجة انه ينصح الفلاسفة الجدد بان يكونو بستوى الاغريق "على الفلاسفة الجدد ان يكونوا عضماء كالاغريق"ويقول ايضا ممجدهم "الشعب الاغريقي يمكننا القول بان مجرد التعليم منه يعد مجدا كبيرا وشرفا استثنائيا "[2]

[1]– نيتشه فريديريك، الفلسفة في العصر الماساوي الاغريقي ، ترجمة: سهيل القش ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ط2، 1982 ، ص 49

[2]–أمزيان حسين، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه بعنوان ، الاغريق و اليهود والالمان في فلسفة نيتشه ، مرجع سابق ، ص155

الخـــــــــاتمة

إن الفلسفة عبارة عن حلقات متواصلة وذلك إما بإعادة الطرح والتجديد او الإمتداد وهذا ما رأيناه بالنسبة للفلسفة الغربية وانتقالها من الوجود العيني المفرد ومن الوجود الموضوعي الى الوجود الذاتي حيث حاولت معالجة الكثير من الازمات من بينها ازمة الإنسان والحضارة وبالرغم من اصدارها حكم قيمي على العلم وتطبيقاته والعقل وتجريداته وطغيان المادة على الروح كاسباب هده الازمة فانه عكس توجها حتميا بالتجديد و إعادة بناء الوجود الانساني من الداخل وهنا نجد هده النقطة حاضرة في الفلسفة السوفسطائية رغم اختلاف الزمان والمكان وهي الاهتمام بالانسان او يمكن القول المعيار كل الجوانب المعرفية الاخلاقية والسياسية وغيرها .

لقد تميزت الفلسفة السفسطائية بهده النزعة الانسانية ،و بقفزة نوعية وهي الانتقال من الذات الى الموضوع ومن الاهتمام بالطبيعة وموضوعاتها إلى الإنسان كمحور بحث وجعله هو المقرر الأول والأخير.

عند تتبع البحث نجد تشابه وتقارب بين الفلسفة السؤفسطائية والفلسفة النيتشوية في العديد من النقاط، بموجب إن الفلسفة اليونانية وكما صرحنا سابقا انها المرجعية العالمية لكل البحوث الفلسفية وكان ذلك اما بصفة مباشرة اوغير ذلك ، فنجد بعض الافكار قد ظهرت في الفلسفة الحديثة ذلك باعتمادهم على الحواس ، المعرفة نسبية وكذلك لقد اثنى عليهم هيغل لكن لم ياخد منهم .

وفي نهاية القرن 19وبداية القرن 20 عاد فكر السوفسطائيين بقوة خاصة عند الفيلسوف الالماني فريديريك نيتشه ، اخد منها واضاف اليها وقد تحدث عن بعض المواضيع ويتجلى ذلك في كتابه (هكدا تكلم زادشت)ينتقد فيه الدين والقيم الحضارية السائدة في عصره كما فعل من قبل السوفسطائيين .

بل وذهب الى تقسيم الناس وثقافتهم إلى ثقافة الاقوياء والضعفاء وهو يزدري الضعفاء ويدعو الى استخدام القوة ، فلا مكان للضعفاء في هذا العالم ،حسب راي نيتشه وهذا ما قاله "تراسيماخوس" بالضبط أي ان القوة هي التي يجب ان تسود ولا شيء سواها والمزيد من الافكار المشتركة بين نيتشه والسوفسطائية التي تكلمنا عليها مسبقا في الفصل الثاني.

قد نجد نيتشه معجب بالإغريق الى حد انه وصف زمان تفلسفهم بالنضج ،الا انه لايصرح بالاقتباس منهم .

إن المذهب السفسطائي ذات نزعة انسانية نقدية وما يؤكد صحة هذا الرأي قول اميل برهييه: " هذه النزعة الانسانية التي تعقد رجاءها كله على الفن والثقافة يشهد عليها المطلع المشهور من كتاب بروتاغوراس ، وهذا القول هو بمثابة برنامج كامل لمن يصبو الى ثقافة انسانية وعقلانية، والانسان بوجه عام هو بيت القصيد"[1] ، فقد كان محور بحثهم هو الانسان.

كما كانت نزعتهم نقدية واستدل على ما أذهب إليه بأن عقم المذاهب الفلسفية في ايجاد الحلول للقضايا المطروحة وتعدد الاراء وتباينها ادى الى ما يسمى بعصر افلاس العلم الطبيعي، فافرز نفور الفرد الى تعلم البيان والفنون فشاعت الروح النقدي.

بإمعان النظر في الدراسات السابقة نجد الإرهاصات الأولى في المذاهب السابقة التي تحمل في ثناياها قدوم حركة جديدة جريئة اعلنت صراحة ما كانت تصبو اليه من بعيد وذلك من خلال العنصر الانساني في التفسير الطبيعي اللوغوس ، وأوضح دليل على ما أذهب إليه قول احد الباحثين:" لم تكن نظرية العقل لدى انكساغوراس سوى تمهيدا مباشرا للمذهب

[1]– برهييه اميل، تاريخ الفلسفة اليونانية، مرجع سابق ، ص 108.

السفسطائي ومبدا بروتاغوراس الانسان مقياس الاشياء كان علامة بارزة على التغير الذي سوف في التصور القديم للعالم " [1].

بفضل إدخال السوفسطائية النزعة الإنسانية، حدثت تجديدات شاملة في بناء العلوم المختلفة، فقد تحررت هذه العلوم من قيود الخرافة و الأفكار الدينية العتيقة، و حرص العلماء في ذلك العصر على تحري الدقة بفضل تعليم الخطابة أصبحت قيمة الفرد تقدر أو تقاس بماهاراته الخطابية و فصاحته، بالرغم من النتقادات والعقبات التي شهدتها الفلسفة السفسطائية الا أنها تركت تأثيرا في الفسفة الغربية وذلك من خلال الأفكار المتقاربة .

[1]– مبروك امل، مقدمة في تاريخ الفلسفة اليونانية ، مرجع سابق ، ص 83.

ملحق:

بعض المصطلحات باللغة الفرنسية:

الاخلاق:MORAL

السياسة :POLITIQUE

الدين:RELIGIONS

الانسانية :HUMANITIE

الحقيقة:LA VIRITEE

النظرية:THEORIE

السلطة:POUVOIREJ

الحق:LE DROIT

الديمقراطية:DIMOCRATIQUE

الارادة:LA VOLANTEE

القوة :LA VIOLANCE

الشك:LE DOUTE

تعريف:نيتشه فريديريك(1844-1900)،فيلوسوف لغة ألماني ، درس الادب الكلاسيكي(فقه اللغة ،الفيلولوجيا)،من أهم أعماله انساني جدا(1878-1880)،هكذا

تكلم زرادشت(1883-1885)وارادة القوة 1884-1888)الفلسفة في العصر المأساوي الاغريقي.

الفهرس

الفهرس:

المقدمة:.....ص01-04.

الفصل الأول:النزعة الانسانية في الفلسفة السفسطائية.....ص05-19

المبحث الاول:المعرفة والاخلاق.....ص06-09

المبحث الثاني: السياسة والدين ص08-19

الفصل الثاني: حضور الفلسفة السفسطائية في فلسفة نيتشه.....ص20-69

المبحث الأول: الحقيقة والاخلاق في فلسفة نيتشه .....ص21-64.

المبحث الثاني: استحضار نزعة السفسطائيين في فلسفة نيتشه.....**ص58-64**

الخاتمة.....**ص65-69**

ملحق

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر

1) أندري كرسون ، المشكلة الأخلاقية والفلاسفة ، ترجمة:عبد الحليم محمود، دار المكتبة الحديثة، القاهرة ، ط2 ، 1946 . د.ط ، 2002 .

2) دولوز جيل ، نيتشه ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،ترجمة: أسامة الحاج ، بيروت ، ط1، 1998.

3) رأيت وليم كلي، تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة: محمود سيد أحمد، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ط 1، 2010

4) غرانييه جان، نيتشه، ترجمة: علي بوملحم، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،بيروت، ط1 ، 2008.

5) فردريك نيتشه ،الفلسفة في العصر المأساوي الإغريقي ، ترجمة :سهيل القش، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت ، ط2؛ 1983.

6) فريدريك نيتشه ، أفول الأصنام ، ترجمة: حسان بورقيبة ومحمد الناجي، أفريقيا الشرق، المغرب، ط1،1996.

7) فريدريك نيتشه ، إنساني مفرط في إنسانيته،ج1، ترجمة: محمد الناجي، المؤسسة أفريقيا الشرق، المغرب،دط،2002

8) فريدريك نيتشه ، ما وراء الخير والشر، ترجمة: حسان بورقية، أفريقيا الشرق، المغرب، د ط، 2006.

9) فريدريك نيتشه ، هذا هو الإنسان، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ط1، 2005 .

10) فريدريك نيتشه، الفلسفة في عصر الإغريق، ترجمة محمد الناجي، إفريقيا الشرق، المغرب، د ط، 2009.

ثانيا:المراجع

1) إبراهيم يسرى، فلسفة الاخلاق، فريديريك نيتشه، دار التنوير، بيروت، د ط، 2007.

2) بدوي عبد الرحمن، خلاصة الفكر الأوروبي نيتشه، وكالة المطبوعات، الكويت، ط 5، 1975.

3) برهييه إميل، تاريخ الفلسفة اليونانية، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت ج1، ط2، 1987.

4) حسين أمزيان ، مذكرة لنيل الدكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، بعنوان الإغريق واليهود والألمان في فلسفة نيتشه، إشراف الأستاذين : أ.حداد مصطفى و أ. زروخي اسماعيل، جامعة منتو ري، قسنطينة ، 2006-2007.

5) حسين حرب، الفكر اليوناني قبل أفلاطون ، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1990.

6) حمادة حسين صالح، دراسات في الفلسفة اليونانية، ج1، دار الهادي للطباعة و النشر، بيروت، ط1، 2007.

7) سبيلا محمد و عبد السلام بنعبد العالم، الحقيقة، دفاتر فلسفية، دار توبقال للنشر، المغرب، ط 2، 2005.

8) ستيس وولتر، تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2،2005.

9) الشيخ محمد، نقد الحداثة في فكر نيتشه الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط 1، 2008.

10) عبد العال عبد الرحمن عبد العال ابراهيم، مدكرة لنيل الدكتوراه بعنوان الانسان لدى فلاسفة اليونان في العصر الهلليني، اشراف: د.علي حنفي، جامعة طنطا(قناة السويس)،1999.

11) عبد اللطيف نبيل، فلسفة القيم نماذج نيتشوية، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ط1، 2010 .
12) عنايات عبد الكريم ،نيتشه والاغريق ، مطابع الدار العربية للعلوم ، بيروت ، ط1 ، 2010 .
13) العوا عادل، القيمة الأخلاقية، الشركة العربية للصحافة والطباعة والنشر، دمشق، د ط، 1965.
14) قادم معمر، إشكالية الانطولوجيا والقيمة في الفلسفة الغربية المعاصرة نيتشه نموذجا، [إشراف الدكتور بوشيبة محمد]،،2014،2013،
15) قواسمية مراد، في معنى التاريخ عند نيتشه سؤال الأصل ومشروع التأويل ، ابن النديم للنشر والتوزيع ، الجزائر ط1 ، 2010.
16) كامل فؤاد، الموسوعة الفلسفية المختصرة، مراجعة وإشراف : زكي نجيب محمود، مكتبة الإنجلو مصرية القاهرة، د.ط د.س.
17) كرم يوسف، تاريخ الفلسفة اليونانية، دار القلم، بيروت، طبعة جديدة، د.س،د.ط
18) الكيلاني محمد جمال، الفلسفة اليونانية أصولها و مصادرها ج1، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، الإسكندرية، ط1، 2008.

19) مبروك امل، مقدمة في تاريخ الفلسفة اليونانية دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع محمد عبده القاهرة د. ط، 2006.
20) محمد على أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي من طاليس إلى أفلاطون، ج1، دار المعرفة الجامعية، القاهرة ، د..ط، د.س.

21) محمود زكي نجيب أحمد أمين، قصة الفلسفة اليونانية ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، د.ط ، 1966 .
22) مفرج جمال، نيتشه الفيلسوف الثائر، افريقيا الشرق، المغرب، د ط، 2010.
23) من قضايا الفلسفة،عباس رواية عبد المنعم دار الوفاء للطباعة والنشر، الاسكندرية ،ط1. 2014.

24) موسى عبد الله، المدينة والأخلاق في خطاب الفارابي، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط 2013
25) النشار مصطفى ، مدخل جديد إلى الفلسفة، دار الفياء للطباعة و النشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1998.

ثالثا: الموسوعات والمعاجم

1) أمل فؤاد، الموسوعة الفلسفية المختصرة، مراجعة وإشراف : زكي نجيب محمود، مكتبة الإنجلو مصرية القاهرة، د.ط، د.س.
2) إيلي ألفا روني، موسوعة أعلام الفلسفة،،ج2،دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1992 .
3) الحلو عبده، معجم المصطلحات الفلسفية فرنسي عربي، مكتبة لبنان، بيروت، د ط، د س.

4) الحنفي عبد المنعم، الموسوعة الفلسفية، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، د ط، 1992.
5) روزنتال.م، يودين.ب، الموسوعة الفلسفية ، ترجمة: سمير كرم، دار الطليعة بيروت، د ط، د س، ص 185.
6) طرابشي جورج، معجم الفلاسفة، دار الطليعة للنشر والتوزيع، بيروت، ط3، 2006.
7) وهبه مراد، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ط،2007.

رابعا:المذكرات:

1) حسين أمزيان ، مذكرة لنيل الدكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، بعنوان الإغريق واليهود والألمان في فلسفة نيتشه، إشراف الأستاذين : أ.حداد مصطفى و أ. زروخي اسماعيل، جامعة منتو ري، قسنطينة ، 2006-2007.

2) عبد العال عبد الرحمن عبد العال ابراهيم، مدكرة لنيل الدكتوراه بعنوان الانسان لدى فلاسفة اليونان في العصر الهلليني، اشراف: د.علي حنفي، جامعة طنطا(قناة السويس)،1999.

خامسا:المجلات

1) الشريف عمرو امين، نقد نيتشه لكانط وتاثيره على مابعد الحداثة.أوراق فلسفية ،2002،العدد6،مركز النيل